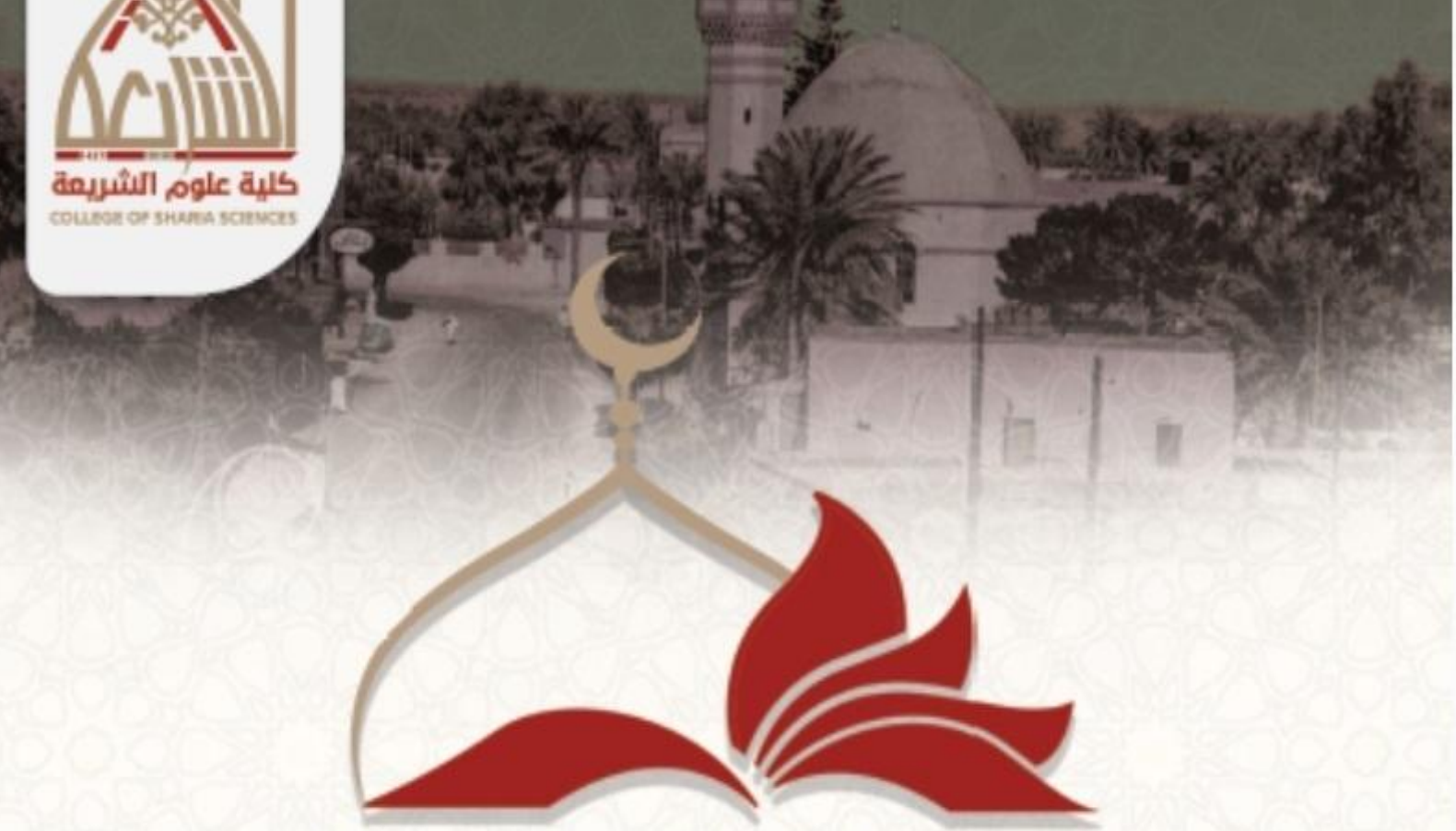


كلية علوم الشريعة
COLLEGE OF SHARIA SCIENCES

المجلة العلمية
لعلوم الشريعة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية علوم الشريـــــعة

العدد
9

المحرم 1447 - يونيو 2025م
shsj.elmergib.edu.ly



المجلة العلمية
لعلوم الشريعة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية علوم الشريـــــعة

تهتم بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية
في مجال العلوم الشرعية المختلفة

توجه جميع المراسالت والبحوث إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

البريد الإلكتروني:
SHAREAA_J@ELMERGIB.EDU.LY



الموقع الرسمي:
SHSJ.ELMERGIB.EDU.LY

المجلة العلميّة لعلوم الشّريعة
Scientific journal of Sharia Sciences
تصدر عن كلّيّة علوم الشّريعة بجامعة المرقب
رقم التّصنيف الدولي (ISSN):3006-1016

تاريخ الاستلام: 14-06-2025 م تاريخ القبول: 29-07-2025 م تاريخ النشر: 20-08-2025 م

(الرّجز) و(الرّجس) في السّياق القرآنيّ: دراسةٌ تفسيريّة موضوعيّة

أ. عصام الصّدّيق عمر يعقوب
قسم التّفسير والحديث. كلّيّة علوم الشّريعة. جامعة المرقب
esyacoub@elmergib.edu.ly

الملخّص:

يتناول هذا البحث أنموذجاً من نماذج (الإعجاز البلاغيّ للمفردة القرآنيةّ)، حيث يدرس العلاقةَ بين لفظي (الرّجز) و(الرّجس) في اللّغة، ويبيّن العلاقة بينهما من حيث المعنى من خلال أقوال أئمّة اللّغة.

ثم يبيّن المعاني الّتي ورد عليها كلٌّ من اللّفظين في القرآن الكريم، بحصر الآيات الّتي ورد فيها كلٌّ منهما - وقد ورد كلٌّ من اللّفظين عشر مرّات في القرآن الكريم -، ودراسةِ تفسير تلك الآيات وسياقاتها، مع محاولة الجمع بين الأقوال الّتي وردت في أشهر كتب التّفسير. ويحاول البحث من خلال ذلك تسليطَ الضّوء على دقّة الاستعمال القرآنيّ بين هذين اللّفظين، وكيف يمثّل ذلك وجهاً من وجوه إعجازه؟

الكلمات المفتاحية: الإعجاز البلاغيّ، التّصاريف، الرّجز، الرّجس، الوجوه والنّظائر.

Voluntary Work in Islam(Al-Rijz) and (Al-Rijs) in the Qur'anic Context: An Objective Exegetical Study

ISSAM ESSEDIG OMAR YAGOUB

Department of Interpretation and Hadith, Faculty of Sharia Sciences, Elmergib University

esyacoub@elmergib.edu.ly

Abstract:

This study examines a model of the rhetorical inimitability of Qur'anic diction, focusing on the nuanced relationship between the terms al-rijz and al-rijs in the Arabic language. It highlights their close semantic and morphological-phonological proximity, and then analyzes the meanings each conveys in the Noble Qur'an by cataloguing all the verses in which they occur—each appearing exactly ten times.

The research investigates the exegetical interpretations and contextual usages of these verses, drawing upon the most authoritative works of Qur'anic commentary, and seeking to reconcile the various scholarly opinions presented therein. Through this analytical approach, the study aims to illuminate the precision of Qur'anic word choice between these two terms, demonstrating one facet of its miraculous eloquence.

Keywords: al-Rijz, al-Rijs, Morphological Derivations, Synonymous and Related Terms, Rhetorical Inimitability

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإنّه ممّا لا يرتاب فيه مسلمٌ أنّ القرآن الكريم هو أعظمُ آية على نبوّة محمّد ﷺ، وهو يمثّلُ المنهجَ الرّبّانيَّ القويمَ في هداية البشريّة وإصلاحها.

وإذا تفكَّر القارئ المتدبِّرُ في إعجاز القرآن الكريم فإنّه يراه حاضراً في كلّ سورةٍ من سُوَره، وفي كلِّ آية من آياته، بل لا يبعد إن قلنا إنّ المفردةَ القرآنيّة تشكّل وجهاً بارزاً من وجوه الإعجاز القرآنيّ، من حيث دقَّتها في أداء المعنى المراد بما لا يضاهى ولا يقادَر قدرُه، كما يقول ابن عطيّة: "كتابُ الله لو نُزِعتْ منه لفظة ثمّ أُدير لسانُ العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[1].

ومن صور (إعجاز المفردة القرآنية) ظاهرة التّصريف، وهي ما اصطُلح على تسميته بـ(الوجوه)، ضمن مبحث (الوجوه والنّظائر)، فالمراد بـ(الوجوه): المعاني المختلفة من موضع لآخر للّفظ الواحد الّذي يرد في أكثر من موضع من القرآن الكريم[2].

وهذا النّوع من علوم القرآن له تعلُّقٌ ظاهر بما اصطُلِح في العقود الأخيرة على تسميته بـ(التّفسير الموضوعيّ)؛ إذ فيه جمعٌ لموارد اللّفظ في القرآن الكريم، وبيانٌ لمعانيها وما يتبع ذلك من معارف تفسيريّة واستنباطات ولطائف بلاغيّة، هو يدخل ضمن التّفسير الموضوعيّ لمصطلح قرآنيّ[3].

وقد بدا لي أن أتناول بالبحث مفردتَي (الرّجز) و(الرّجس) في القرآن الكريم؛ وذلك لما بينهما من تشابه في المبنى وتقارُبٍ في المعنى، محاولاً تسليط الضّوء -ما أمكنني- على تصريف المعاني فيهما، والعلاقة بينهما، وما يتّصل بذلك من مباحث بلاغيّة ونحوها. وجعلتُ عنوان البحث: **(الرّجزُ) و(الرّجسُ) في السّياق القرآنيّ: دراسةٌ تفسيريّة موضوعيّة**.

1 . المحرّر الوجيز لابن عطيّة (52/1).

2 . ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزّركشيّ (193/1). وقد أشار الزّركشيّ إلى أنّ ثمّة خلافا في تحديد المراد بهذا المصطلح، وليس هذا محلّ بيانه، فانظره إن شئت. ولمزيد توضيح وتحقيق يُنظر: تمهيد د. هند شلبي لكتاب (التّصاريف) ليحيى بن سلام (ص12-24).

3 . اهتمّت الدّراسات التأصيليّة في (التّفسير الموضوعيّ) ببيان أنواعه، والمشهور أنّه على ثلاثة أنواع: التّفسير الموضوعيّ للموضوع القرآنيّ، والتّفسير الموضوعيّ للسّورة القرآنيّة، والتّفسير الموضوعيّ للمصطلح القرآنيّ. وقد اتّفق الباحثون في هذا المجال على عدّ النّوعين الأوّلَين، واختلفوا في الثّالث، وزاد بعضهم أنواعاً أخرى. ينظر: التّفسير الموضوعيّ بين النّظريّة والتّطبيق، لصلاح الخالدي (ص59 - 68)، المدخل إلى التّفسير الموضوعيّ، لإبراهيم الحميضي (ص26 - 30).

إشكاليّة البحث:

تتجسد إشكالية البحث في دراسة العلاقة بين لفظَيِ (الرّجز) و(الرّجس) من حيث المعنى اللّغويّ، والاستعمالِ القرآنيّ، وتصاريف اللّفظين في القرآن الكريم، وبيان علاقة ذلك بالإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

تساؤلات البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التّساؤلات الآتية:

1. ما العلاقة بين اللّفظين من حيث المعنى والاشتقاق؟
2. ما المعاني المرادة من كلِّ لفظٍ منهما في موارده في القرآن الكريم؟ وهل هي معانٍ متعدّدة أم أنّ كلَّ لفظٍ منهما جاء على معنى واحد في كلّ موارده في القرآن الكريم؟
3. هل لاختيار أحد هذين اللّفظين في الاستعمال القرآنيّ مدخلٌ في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم؟

أهداف البحث:

يهدف الباحث من خلال هذا الموضوع إلى تحقيق بعض الأهداف التي تتمثل في الآتي:

1. بيان العلاقة بين اللّفظين من حيث المعنى والاشتقاق.
2. بيان معاني اللّفظين في مواردهما في القرآن الكريم.
3. بيان علاقة ذلك بالإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

منهج البحث:

ومن خلال عنوان البحث وأهدافه يظهر أنّ إنجازه يستلزم عدّة مناهج بحثيّة:

1. المنهج الاستقرائيّ التّام؛ لجمع موارد اللّفظين في القرآن الكريم.
2. المنهج النّقليّ؛ لإيراد جملةٍ من أقوال أهل اللّغة والتّفسير فيما يتعلّق بموضوع البحث.
3. المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ لتحليل الأقوال ومحاولة التّرجيح بينها ما أمكن.

وقد اعتمدتُ في الآيات القرآنيّة روايةَ قالون عن نافع، وإنّما أذكر غيرها من الرّوايات فيما تدعو إليه الحاجة لتعلُّقِه بموضوع البحث. واعتمدتُ العدَّ المدنيَّ الأوّل.

ولم أترجم لأيٍّ من الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث؛ طلباً للاختصار، ولإمكان الوصول إلى التّراجم –من أرادها- دون عناء.

خطّة البحث:

قسّمتُ البحثَ على مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة:

- **المقدّمة:** وفيها ما سبق بيانه.
- **المطلب الأوّل:** (الرّجز) و(الرّجس) في اللّغة، وهو ثلاثة فروع:
  - الفرع الأوّل: معنى (الرّجز) في اللّغة.
  - الفرع الثّاني: معنى (الرّجس) في اللّغة.
  - الفّرع الثّالث: العلاقة بين (الرّجز) و(الرّجس) في اللّغة.
- **المطلب الثّاني:** معنى (الرّجز) في القرآن الكريم.
- **المطلب الثّالث:** معنى (الرّجس) في القرآن الكريم.
- **الخاتمة:** وفيها أهمّ النّتائج والتّوصيات.

ثمّ ثبت المصادر والمراجع.

وأسأل الله التّوفيق والتّيسير، وأن يكون هذا العمل إضافةً مثمرةً للمكتبة القرآنيّة.

المطلب الأوّل: معنى (الرّجز) و(الرّجس) في اللّغة

الفرع الأوّل: معنى (الرّجز) في اللّغة:

ذكر الخليل بن أحمد ثلاثة معانٍ للفظ (الرّجز)، وهي: العذاب، ووسوسة الشّيطان، وعبادة الأوثان[1].

وجعل ابن فارسٍ الرّاء والجيم والزّاي أصلاً واحداً، يرجع معناه إلى اضطراب وتتابعٍ في الحركة[2].

ومنه قولهم: رَجَزَ البعيرُ رَجْزاً، فهو أرْجَزُ، وناقةٌ رَجْزاءُ: إذا تقارب خطوُها واضطرب.

ومنه الرِّجازة، وهي: كساءٌ يُجعلُ فيه أحجار تُعلَّق بأحد جانبَي الهودج ليَعْدِله إذا مال، وقيل: هي صوفٌ يُعلَّق على الهودج زينةً، وقيل: مَركبٌ أصغرُ من الهودج، وكلُّ ذلك فيه حركةٌ واضطراب[3].

ومنه اشتقاق الرَّجَزِ من الشّعر؛ لتقارُبِ أجزائه، فسُمّي رَجَزاً لتصوُّرِ اضطرابٍ في اللّسان عند إنشاده[4]، أو لسرعة الانتقال فيه من بيت إلى بيت[5].

ومنه يُقال: ارْتَجَزَ الرّعدُ ارتِجازاً وتَرَجَّزَ: إذا تتابع صوته. ويُقال: تَرَجَّزَ السّحابُ: إذا تحرّك بطيئاً لكثرة مائه[6]، كأنّهم جعلوا بطء حركته وتثاقُلَهُ بمنزلة خطواتٍ قصيرةٍ متتابعة.

وقيل: الرِّجْز: القَذَرُ، والعذابُ، والشِّرْكُ[7].

وفرّق بعضُهم بين كسر الرّاء وضمّها، فقالوا: الرُّجْزُ -بالكسر والضّمِّ- الشّركُ، والرِّجْزُ -بالكسر فقط- القذَرُ، والعذابُ، والإثم[8].

ولعلّ استعمال مادة (رجز) في الدّلالة على الشّرك، والعذابِ، ووسوسةِ الشّيطان، والإثمِ- يرجعُ إلى معنى الاضطراب؛ فالمشرِكُ الّذي يعبُد غير الله ﷻ يكون مرتاباً مضطرباً اعتقادُه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ

1 . ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد (66/6) حرف الجيم، باب الجيم والزّاي والرّاء.

2 . ينظر: معجم مقاييس اللّغة، لابن فارس (489/2) مادّة (رجز)، معاني القرآن وإعرابه، للزّجّاج (204/2).

3 . ينظر: الصّحاح، للجوهريّ (878/3) مادّة (رجز)، معجم مقاييس اللّغة (489/2) مادّة (رجز)، لسان العرب، لابن منظور (219/7) مادّة (رجز).

4 . ينظر: معجم مقاييس اللّغة (489/2) مادّة (رجز)، مفردات ألفاظ القرآن، للرّاغب الأصفهانيّ (ص341) مادّة (رجز).

5 . ينظر: معاني القرآن وإعرابه (204/2).

6 . ينظر: لسان العرب (218/7) مادّة (رجز)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص511) مادّة (رجز).

7 . ينظر: القاموس المحيط، ص511، مادّة (رجز).

8 . ينظر: الصّحاح (878/3) مادّة (رجز)، لسان العرب (219/7) مادّة (رجز)، ونسب الطبريُّ التّفريقَ بينهما إلى الكسائيّ، ورجّح خلافه. ينظر: جامع البيان، للطّبريّ (410/23)، ونصَّ الخليلُ على أنّهما بمعنىً واحد، وكذا الفرّاء، والزّجّاج. ينظر: كتاب العين (66/6) حرف الجيم، باب الجيم والزّاي والرّاء، معاني القرآن، للفرّاء (201/3)، معاني القرآن وإعرابه (245/5).

يَّعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[1]. والعذابُ يُسمّى رِجزاً إذا كان شديداً متتابعاً مُقَلقِلاً[2]. وسُمّي الإثم رِجْزاً لأنّه يؤدّي إلى العذاب، تسميةً للشّيء بمآله[3]، أو لأنّ العذاب سببٌ للاضطراب[4]، وحقيقةُ الرّجز الاضطراب، فيكون إطلاقُ (الرّجز) على العذاب إطلاقاً مجازاً مرسلاً علاقته السّببيّة. وسُمّيت وساوس الشّيطان رجزاً لأنّها سببٌ للوقوع في الشّرك والإثم، فتكون بذلك سبباً لاستحقاق العذاب[5].

الفرع الثّاني: معنى (الرّجس) في اللّغة:

الرّاء والجيم والسّين: أصلٌ واحد -على ما قرّره ابن فارس-، ويرجع معناه إلى الاختلاط. يُقال: هم في مَرْجُوسَةٍ من أمرهم وفي مَرْجُوسَاء، أي: في التباسٍ واختلاطٍ[6].

والرَّجْسُ -بفتح الرّاء-: الصّوتُ الشّديد من الرّعد ومن هدير البعير، وكأنّه قيل له ذلك لأنّه يتردّد، ففيه معنى الاختلاط. ويُقال منه: سَحَابٌ رجّاسٌ، وبَعِيرٌ رجّاسٌ[7]. ولعلّه ممّا دخله التّوسّع في الاستعمال، فصار يُستَعمل في كلّ صوتٍ شديد، قال الرّاغب: "وقيل: رِجْسٌ ورِجْزٌ للصّوت الشّديد"[8].

ومن الباب المِرْجَاسُ، وهو "حَجَرٌ يُشَدُّ في طرف الحبل، ثم يُدْلى في البئر فيَمْخَضُ الحَمْأَة حتى تَثُور، ثم يُسْتقى ذلك الماء؛ فتنقى البئر. قال الشاعر:

إذا رَأَوْا كَرِيهةً يَرْمُونَ بي رَمْيَكَ بِالمِرْجاسِ في قَعْرِ الطَّوِي"[9]

وفي حديث هانئ المخزوميّ قال: "لمّا كانت اللّيلةُ الّتي وُلد فيها رسول الله ﷺ ارْتَجَسَ إيوانُ كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة"[10]. قال ابن الأثير في شرحه: "أي اضطرب وتحرّك حركة سُمِع لها صوت"[11].

1 . سورة الحجّ، من الآية 11. ينظر: لسان العرب (348/4) مادّة (رجز).

2 . ينظر: معاني القرآن وإعرابه (205/2)، لسان العرب (219/2) مادّة (رجز).

3 . ينظر: معاني القرآن وإعرابه (204/2)، مفردات ألفاظ القرآن (ص342) مادّة (رجز).

4 . ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدّين الدّرويش (427/7).

5 . ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص471)، زاد المسير في علم التّفسير، لابن الجوزيّ (ص543).

6 . ينظر: معجم مقاييس اللّغة (490/2) مادّة (رجس)، لسان العرب (399/7) مادّة (رجس).

7 . ينظر: معجم مقاييس اللّغة (490/2) مادّة (رجس)، الصّحاح (933/3) مادّة (رجس).

8 . مفردات ألفاظ القرآن (ص342) مادّة (رجس).

9 . الصّحاح (933/3) مادّة (رجس).

10 . أخرجه البيهقيّ في: دلائل النّبوّة، باب ما جاء في ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شُرَفه ورؤيا الموبذان وخمود النّيران وغير ذلك من الآيات ليلة وُلد رسول الله ﷺ (126/1).

11 . النّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ص348) مادّة (رجس).

و"الرِّجْسُ -بكسر الرّاء-: القَذَرُ، وقد يُعبَّر به عن الحرام، والفعلِ القبيح، والعذابِ، واللّعنةِ، والكفرِ"[1].

ولعلّه من بابِ مفتوح الرّاء نفسِه، قال الزّجّاج: "يُقال: رَجِسَ الرَّجُلُ يَرْجَسُ، إذا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجْسُ -بفتح الرّاء- شدّةُ الصّوت، فكأنّ[2] الرِّجْسَ العملُ الّذي يقبُح ذكرُه ويرتفع في القبح"[3].

ومعنى القَذَر في لفظ (الرِّجْسِ) "يكون على أربعة أوجه: إمّا من حيث الطّبع، وإمّا من جهة العقل، وإمّا من جهة الشّرع، وإمّا من كلّ ذلك"[4]. والظّاهر أنّ هذا هو وجه تعبيرهم بـ(الرِّجْسِ) عن الحرام، والكفر، واللّعنة، والعذاب؛ إذ الحرامُ والكفر مستقذَران من جهة الشّرع، وهما سببٌ للّعنة والعذاب[5].

الفرع الثّالث: العلاقة بين (الرّجز) و(الرّجس) في اللّغة:

يظهر ممّا سبق أنّ بين المفردتين تقارباً من حيث المعنى، إضافةً لتقاربهما من حيث المبنى؛ فـ(الرّجزُ) يرجع معناه إلى الاضطراب وسرعة الحركة، و(الرّجس) يرجع معناه إلى الاختلاط والالتباس والتّردّد، فالتّقارب ظاهرٌ بين المعاني الأصليّة الّتي ترجع إليها المفردتان.

وكلاهما يُستعمل -كما مرَّ- في الدّلالة على: القَذَر، والعذاب، والشّرك، والإثم، والصّوت الشّديد.

إلّا أنّه يظهر من مجموع ما تقرّر أنّ استعمال لفظ (الرّجز) في الدّلالة على العذاب أكثر، وبالمقابل فإنّ استعمال لفظ (الرّجس) في الدّلالة على القذر أكثر، ثمّ هما يستويان -تقريباً- في الدّلالة على الكفر والشّرك والإثم. ويظهر أنّ دلالةَ (الرّجز) على هذه المعاني (الكفر والشّرك والإثم) هي من جهة كونها سبباً للعذاب، ودلالةَ (الرّجس) عليها هي من جهة كونها أموراً مستقذَرةً في الشّرع، أو في الشّرع والعقل معاً، والله أعلم.

كما أنّه يُلاحَظ أنّ كلَّ لفظ منهما قد استقلّ في الاستعمال -بالنّظر إلى عموم مادّته- بمعانٍ لا يدلُّ عليها الآخر، فمثلاً: استقلّت مادّة (الرّجز) بالدّلالة على ما يُوضع على الهودج، وعلى بحرٍ من بحورِ الشّعر. وبالمقابل -مثلاً-: استقلّت مادّة (رجس) بالدّلالة على الحجر الّذي يُستعمَل لمَخْضِ حمْأة البئر.

ومع ما بين اللّفظين من افتراقٍ واختصاصٍ لكلّ منهما ببعض الدّلالات إلّا أنّ مِن أئمّة اللّغة مَن ذهب إلى أنّهما يدلّان في القرآن الكريم على المعنى نفسه.

قال الخليل: "والرِّجسُ في القرآن العذاب، كالرّجز"[6].

1 . لسان العرب (398/7) مادّة (رجس).

2 . في المطبوعة "كان" بلا همز ولا ضبط، والمثبَتُ أوفق للسّياق، وكذا نقله عنه في لسان العرب (399/7).

3 . معاني القرآن وإعرابه (203/2، 204).

4 . مفردات ألفاظ القرآن (ص342) مادّة (رجس).

5 . الكلّيّات، للكفويّ (ص465) مادّة (رجس).

6 . كتاب العين (52/6) حرف الجيم، باب الجيم والسّين والرّاء.

وقال أبو عبيدة: "الرِّجزُ والرِّجسُ سواءٌ، وهما العذاب"[1].

بل ذكر بعضُهم أنّ كلمة (رِجز) أصلُها (رِجس)، ثمّ قُلبت السّين زاياً. قال ابن فارس: "فأمّا الرِّجزُ الّذي هو العذاب، والّذي هو الصّنم في قوله -جلّ ثناؤه-: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[2]- فذاك من باب الإبدال؛ لأنّ أصله السّين..."[3]. فكأنّه جعل (الرّجز) بمعنى الاضطرابِ أصلاً منفكّاً عن (الرّجس)، و(الرّجزَ) بمعنى العذاب أو الصّنم -وهو الوارد في القرآن كما سيأتي- منقلباً عن (الرّجس).

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4]؛ يقول الفرّاء: "العذابُ والغضبُ، وهو مضارع لقوله (الرّجز)، ولعلّهما لغتان بُدِّلت السّين زاياً، كما قيل: (الأسْدُ) و(الأزْد)[5]"[6].

وجاء عن الأخفش نحوُ ذلك[7].

وأوردهما أبو الطّيّب اللّغويُّ في كتابه (الإبدال)[8]، ممّا يعني أنّ أصلهما واحدٌ عنده، وأنّ أحدهما مبدلٌ عن الآخر.

وبالمقابل نجد أنّ من أئمّة التّفسير العارفين باللّغة مَن نصّ على أنّهما ليسا على معنى واحد، قال الطّبريّ: "والرّجزُ في لغة أهل الحجاز: العذابُ، وهو غير الرّجس، وذلك أنّ الرّجسَ هو النَّتْنُ"[9].

ويرد في هذا السّياق قضيّةُ (التّرادف). **والتّرادفُ هو:** دلالة لفظين مختلفين في بعض حروف وضعهما على معنى واحدٍ بالوضع، بحيث تنطق به قبائل العرب كلّها إذا شاءت، بشرط استقلال كلّ منهما في الاستعمال. **أو هو:** دلالة لفظٍ على معنىً دلّ عليه لفظٌ آخرُ –فصاعداً- في اصطلاح التّخاطب، سواءٌ أكانا دالّينِ على ذلك

1 . مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنّى (206/1).

2 . سورة المدّثّر، الآية 5.

3 . معجم مقاييس اللّغة (489/2، 490) مادّة (رجز).

4 . سورة يونس، من الآية 100.

5 . قال السّمعانيّ: "الأَسْدِيُّ، بفتح الهمزة وسكون السّين المهملة وبعدها الدّال المهملة: هذه النّسبة إلى (الأزْدِ)، فيُبدِلون السّين من الزّاي ... قال أبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السّكّيت: يقال لهم (الأَسْدُ) بالسّين و(الأَزْدُ) بالزّاي، وهم أزد شنوءة، وهي أفصح من الأزد، ذكر أبو بكر بن أبي خيثمة عن وهب بن جرير أنه قلّما ذكر (الأزد) إلا قال: (الأسد) بالسّين، وكان فصيحاً. قال يحيى بن معين: (الأزْد) و(الأسد) سواء". الأنساب، للسّمعانيّ (137/1، 138).

6 . معاني القرآن (480/1).

7 . ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطّيّب اللّغويّ (116/2).

8 . ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية، لمكّيّ بن أبي طالب (282/1).

9 . جامع البيان (729/1).

المعنى بالحقيقة أم بطريق النّقل وغلبة الاستعمال المساوي للحقيقة[1].

أو هو: دلالة لفظين مفردَينِ على مسمّىً واحد باعتبارٍ واحد[2].

وقد اختلف أئمّة اللّغة والأصول والتّفسير: هل هو واقعٌ في اللّغة؟ وعلى القول بوقوعه: هل هو واقعٌ في القرآن؟

فذهب جمعٌ من أئمّة اللّغة المتقدّمين إلى أنّه لا ترادف بين الألفاظ العربيّة على الحقيقة، وأنّ ما يُذكَر من أنّ لفظَ كذا معناه كذا- هو من باب التّقريب، وإلّا فإنّه ثمّة فروق -ولو دقيقة- بين كلّ لفظين. وممّن ذهب إلى أنّه لا ترادف في اللّغة: أحمد بن فارس، ونقله عن شيخه ثعلب[3]، وأبو هلال العسكريّ[4]، وغيرهما[5].

وبالمقابل فإنّه يُفهم من كلام جماعةٍ من أئمّة اللّغة –تصريحاً أو تلميحاً- أنّ الألفاظ العربيّة قد تترادف، وقد يدلُّ اللّفظ على نظير ما يدلُّ عليه غيره[6].

وقد صرّح بهذا طائفة من الأصوليّين، كالرّازي والسّبكي، وأنكروا إنكار التّرادف في اللّغة[7].

ثمّ إنّ هذا الخلاف وُجدتْ آثاره في كلام المفسّرين المتقدّمين والمتأخّرين؛ فمنهم من صرّح بإمكان وقوع التّرادف في ألفاظ القرآن الكريم، وإن كان قليلاً، ومنهم من يُفهَم من كلامه إنكار وقوع التّرادف في القرآن الكريم البتّة[8].

وقد ذكر علماء اللّغة -لا سيما المحدثون منهم- شروطاً لإمكان الحكم بالتّرادف بين مفردتين أو أكثر، منها: أن تكون المفردتان من لغة (لهجة) واحدة من اللّغات العربيّة، وألّا تكون إحداهما نتيجةَ تطوّر صوتيّ للأخرى[9].

ولعلّ الأقربَ أنّ التّرادفَ واقعٌ في اللّغة، إلّا أنّ الأصل وجودُ فروقٍ بين الألفاظ ولو في جزء من المعنى؛ فلا يُلجأ إلى القول بالتّرادف إلّا بعد النّظر والتّحقّق من استيفاء شروطه وانتفاء موانعه، ولعلّه بهذا يكون قليلاً في

1 . ينظر: المترادف في اللّغة، مقالة للشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور، مجلّة مجمع فؤاد الأوّل للّغة العربيّة (مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة)، العدد:4، شعبان 1356/أكتوبر 1937م، ص241، 246.

2 . ينظر: المحصول في علم أصول الفقه، للرّازي (253/1).

3 . ينظر: الصّاحبي، لابن فارس (ص114 – 117).

4 . ينظر: الفروق اللّغويّة، لأبي هلال العسكريّ (ص21 – 25).

5 . ينظر: الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، لمحمّد الشّايع (ص88 – 95).

6 . ينظر: الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم (ص46 – 59).

7 . ينظر: المحصول، للرّازي (254/1، 255)، الإبهاج في شرح المنهاج، للسّبكي (240/1، 241).

8 . ينظر: البرهان في علوم القرآن (50/3 – 55)، الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم (ص161 – 211).

9 . ينظر: في اللّهجات العربيّة، لإبراهيم الأنيس، ص178 - 190.

اللّغة، نادراً في القرآن[1].

وبالنّظر في الأقوال الّتي سبق نقلها في بيان العلاقة بين لفظَيِ (الرّجز) و(الرّجس) نجد أنّها تنحصر في ثلاثة: التّباين، والتّرادف، واتّحاد الأصل. أي: إمّا أن يكونا لفظين مختلفين، وهذا لا ينفي وجودَ تقاربٍ بينهما في المبنى والمعنى. أو أن يكونا لفظين مختلفَينِ مبنىً، متّفقَينِ معنىً. أو أن يكونا لفظاً واحداً في الأصل، ثمّ نشأ عنه الآخر، فهما كالمتّفقَينِ مبنىً ومعنىً.

فإذا استصحبنا ما تقدّم في قضيّة التّرادف بعمومها فإنّه يمكن أن نلغي الاحتمال الثّاني، أو أن نحكم ببعده على الأقلّ؛ لأنّهم اشترطوا للحكم بالتّرادف ألّا يكون أحد اللّفظين نتيجةَ تطوُّرٍ صوتيّ للآخر -كما مرّ-، والتّقاربُ الكبير في المبنى بين اللّفظين يجعل احتمال أن يكون أحدهما نشأ نتيجةَ تطوُّرٍ صوتيٍّ للآخر- وارداً من حيث البنية الصّرفيّة؛ إذ الفرق بينهما في حرف واحد، تردّد فيه اللّفظان بين (الزّاي) و(السّين)، والزّايُ والسّين حرفان متجانسان (متّحدان في المخرج)، وليس ثمّة بينهما فرقٌ إلّا في صفةٍ واحدة، فالزّاي مجهورة والسّين مهموسة؛ فاحتمال الإبدال قريبٌ جدّاً.

وعليه فإنّ العلاقة بينهما تكاد تكون منحصرةً في احتمالين:

- الأوّل: كلُّ مفردةٍ منهما مستقلّة عن الأخرى في أصلها ومعناها، وإن كان بينهما شيء من التّقارب في المعنى، والاشتراكِ في الاستعمال.
- والآخر: المفردتان ترجعان في الأصل إلى مفردة واحدة، ونشأت الأخرى على وجه الإبدال بين اللّغات.

وحقيقة فإنّه يصعب القطعُ بأحد هذين الاحتمالين، إلّا أنّه يمكن -كمحاولة للتّقريب بينهما- أن يُقال: لعلّ أصل المفردتين واحدٌ، وهو (رجس)، ثمّ أُبدِلتْ سينه زاياً فنشأ لفظ (رجز)، واشترك اللّفظان في الدّلالة على بعض المعاني، كالعذاب، والقَذَر، والصّوتِ الشّديد، وإن كان استعمال لفظ (الرّجس) في الدّلالة على القَذَر أشهر، واستعمالُ لفظ (الرّجز) في الدّلالة على العذاب أشهر –كما مرّ-، واستقلّ كلٌّ منهما بالدّلالة على معانٍ جزئيّة لم يُسمع دلالة الآخر عليها.

وإنّما قيل إنّ الأصل هو (رجس) ثمّ أبدلت السّين زاياً، دون العكس؛ لقرب توجيه الإبدال على ذلك، وذلك أنّ السّين المهموسة تأثّرتْ بالجيم المجهورة المجاورةِ لها، فانقلبت زاياً مجهورةً، والله أعلم[2].

وهذه المقاربةُ بين القولين لم أجد من نصّ عليها من أئمّة اللّغة، فلا يمكن عدُّها قولاً مستقِلّاً؛ إذ مبنى اللّغة

1 . ينظر: المترادف في اللّغة، لابن عاشور، ص251 – 254، 266، 267، شرح مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيمية، لمساعد بن سليمان الطّيّار (ص117 – 119).

2 . وممّا يؤيّد هذا وجودُ نظائرَ له في لغة العرب، يقول أبو حيّان في معرض حديثه عن السّين: "... وربما أُبدِلتْ زاياً بعد جيمٍ أو راء، نحو: جِزْتُ، ورِزتُ؛ في: جِسْتُ، رِسْتُ". ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، لأبي حيّان التّوحيديّ (325/1)، ينظر: بحث بعنوان "تلمُّس أثر المماثلة في نموّ المعجم العربيّ: دراسة صوتيّة معجميّة"، للباحث: مهدي أسعد عرار.

على السّماع والنّقل، إلّا أنّه وُجد في كلام بعض أهل اللّغة ما يشهد للقضيّة الكلّيّة، وهي أنّ اللّفظين المتقاربين معنىً ومبنىً قد يكونان متّحدين أصلاً ثمّ يستقلّ كلٌّ منهما بالدّلالةِ على جملةٍ من المعاني[1].

والّذي حملني على اقترافِ هذه المقاربةِ -احتمالاً- أمور:

الأوّل: أنّ أكثر علماء اللّغة –فيما وقفت- عليه صرّحوا بأنّ اللّفظين بمعنىً واحد في الأصل، بل صرّح بعضهم بأنّ لفظ (الرّجز) مشتقٌّ من لفظ (الرّجس)، كما مرّ. فيبعد أن يُقال إنّهما متباينان من كلِّ وجه.

الثّاني: أنّ ورود اللّفظين في القرآن الكريم، في سياقات مختلفة- يُضعف القول بالتّطابق الكامل في المعنى؛ إذ لو كان اللّفظان متطابقين معنىً تمام المطابقة لأمكن أن يُقال: لماذا لم يُستعمل لفظ (الرّجس) في هذا الموضع بدل لفظ (الرّجز)، والعكس، وهذا بعيدٌ، بل لا يبعد لو قيل: هو باطل.

الثّالث: ممّا قد يشهد لهذه المقاربة -وهو غريبٌ- أنّ يحيى بن سلّام في كتابه (التّصاريف) أورد اللّفظين في باب واحد -ولم أقف له على مثل هذا الصّنيع في موضع آخر من كتابه- وهذا يُفهَم منه أنّه جعلهما يرجعان إلى أصل واحد، إلّا أنّه عندما ذكر الوجوه الّتي يتصرّف إليها اللّفظ ذكر أربعة وجوه: ثلاثةَ وجوهٍ للفظ (الرّجز)، ووجهاً للفظ (الرّجس)، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّهما لا يدلّان على معنى واحد، على الأقلّ في السّياق القرآنيّ، والله أعلم[2].

وسيأتي في المطلبين الآتيين -إن شاء الله- ما يستبين به الفرقُ الظّاهر بين اللّفظين في المعنى في مواردهما في القرآن الكريم.

1 . ينظر: الخصائص، لابن جنّي (157/2 - 162)، الاشتقاق، لعبد الله أمين (ص350 – 370). ويُلاحظ أنّ الأستاذ عبد الله أمين أورد جملةً من الألفاظ الّتي جعلها من قبيل ما سمّاه "الاشتقاق الكبير"، وهو: "جَعْلُ حرفٍ بدل حرفٍ آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها؛ لعلاقةٍ بينهما" (الاشتقاق، ص333)، وقد جعل عامّة تلك الألفاظ متطابقةً من حيث المعنى، إلّا أنّه ذكر فروقاً بين بعضها، كالذّي ذكره بين لفظَي (هتل) و(هطل). ينظر: الاشتقاق (ص360).

2 . ينظر: التّصاريف (ص321، 322، برقم: 99).

المطلب الثّاني: معنى (الرّجز) في القرآن الكريم

تمهيد:

وردت هذه المفردة (رجز) في عشرة مواضع من القرآن الكريم، في سبع سورٍ، منها خمس سور مكّيّة، وسورتان مدنيّتان.

وهي من المفردات الّتي ذُكِر لها تفسيرٌ مطَّرد في القرآن الكريم، فهي معدودة -على هذا- من كلّيّات القرآن[1]. فقد أخرج الطّبريّ بسنده عن الضّحّاك عن ابن عبّاس ﷺ عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[2]- أنّه قال: "كلُّ شيء في كتاب الله -جلَّ ثناؤه- من الرّجز يعني به العذاب"[3]. وأخرجَ نحوَه عن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم[4].

إلّا أنّنا نجد أنّ ابن فارس أورد هذه المفردةَ في كتابه (الأفراد)، ولم يجعل هذا المعنى مطَّرداً فيها، فقال: "وكلُّ حرفٍ في القرآن من (رجز) فهو العذاب، كقوله -تعالى- في قصة من قال: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾، إلّا الّتي في سورة المدّثّر: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، فإنّه أراد الصّنم: فاجتَنِبُوا عبادته"[5].

واستثنى بعضُ أئمّة اللّغة والتّفسير موضعاً آخر وردت فيه هذه المفردةُ -وفق رأيهم- على معنى غيرِ العذاب، وذلك في قوله ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[6]، قالوا: المراد بـ(الرّجز) هنا: وساوس الشّيطان[7].

وفي الفرعين الآتيين من هذا المطلب عرضٌ للآيات الّتي ورد فيها هذا اللّفظ في القرآن الكريم.

الفرع الأوّل: الآيات الّتي ورد فيها لفظ (الرّجز) بمعنى العذاب بلا خلاف:

ورد لفظ الرّجز على معنى العذاب -باتّفاق المفسّرين- في ثمانية مواضع، في خمس سورٍ من القرآن الكريم،

1 . يُراد بهذا المصطلح (كلّيّات القرآن): الألفاظ الّتي تأتي في القرآن الكريم على معنىً مطَّرد، مع احتمالها لمعانٍ متعدّدة من حيث اللّغة، ويدخل فيه الأساليب الّتي تأتي في القرآن الكريم على نمطٍ واحدٍ مع صحّة غيره لغةً، وتُعرَف هذه الكلّيّات من طريق الاستقراء التّامّ. ويُطلِق عليها ابن عاشور (عادات القرآن)، وقد خصّها بمبحث ضمن المقدّمة العاشرة من مقدّمات تفسيره (التّحرير والتّنوير). ينظر: فصول في أصول التّفسير، لمساعد بن سليمان الطّيّار (ص122)، تفسير التّحرير والتّنوير (124/1، 125).

2 . سورة البقرة، من الآية 58.

3 . جامع البيان (730/1).

4 . ينظر: جامع البيان (731/1).

5 . أفراد كلمات القرآن العزيز، لابن فارس (ص11)، وينظر: الوجوه والنّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدّامغانيّ، باب الرّاء (ص246).

6 . سورة الأنفال، من الآية 11.

7 . ينظر: التّصاريف (321/4، برقم: 99)، نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ص313، برقم: 133).

وفيما يلي عرضها مرتَّبةً وفق ترتيب المصحف، مع التّعرّض لتفسيرها وسياقاتها باختصار:

- **الموضع الأوّل: في قول الله ﷻ:** ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1]:

ورد لفظ (رجز) في هذه الآية في سياق توبيخ بني إسرائيل وتذكيرهم بما كان منهم من مخالفةٍ لأمر الله ﷻ، مخالفةً استحقُّوا بها غضبه وعذابه. قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.[2]

والمعنى: أنّ الله أمر بني إسرائيل بدخول قرية -وهي بيت المقدس على المشهور- يُنعِم الله عليهم فيها بأنواع النّعم، وأمرهم أن يكونوا حال دخولهم إليها خاضعين له بالقول والفعل، مستغفرين مقرّين بذنوبهم، فخالفوا أمر الله ﷻ واستكبروا عن الاستغفار والتّوبة، وبدّلوا بما أمرهم الله من الاستغفار استهزاءً وسخريةً، فأنزل الله عليهم عذاباً.

وقد تطرّق بعض المفسّرين عند حديثهم عن الآية إلى حقيقة العذاب الّذي أنزله الله على الّذين ظلموا من بني إسرائيل، فذكروا أنّه الطّاعون، وقال قومٌ: هو غضبُ الله، وقيل غير ذلك. وأطلق بعضهم المعنى دون تحديدٍ للمراد بالعذاب. إلّا أنّ الّذي يتّصل بموضوع البحث هنا أنّهم لم يختلفوا في أنّ المراد بالرّجز هنا العذابُ.[3]

- **المواضع الثّاني والثّالث والرّابع: في قول الله ﷻ:** ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِے إِسْرَآءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[4]:

ورد لفظ الرّجز في هاتين الآيتين ثلاث مرّات، وذلك في سياق ذكر قصّة موسى مع فرعون وقومه، إذ دعاهم موسى للإيمان بالله ﷻ، وطلب من فرعون أن يُخلّي سبيل بني إسرائيل ويرسلهم معه، فأبى، رغم الآيات البيّنات المتتابعات، فأرسل الله عليه وعلى قومه عذاباً شديداً، فطلبوا من موسى أن يدعو الله ﷻ أن يكشف عنهم العذاب، ووعدوه أنّهم إذا حصل لهم ما يرجونه بدعائه فإنّهم سيؤمنون به ويخلّون سبيل بني إسرائيل، فدعا

1 . سورة البقرة، الآية 58.

2 . سورة البقرة، الآيتان 57، 58.

3 . ينظر: جامع البيان (729/1 - 731)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (282/1)، المحرّر الوجيز (151/1)، الجامع لأحكام القرآن (134/2)، تفسير البحر المحيط (379/1)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (277/1، 278)، تفسير التّحرير والتّنوير (516/1).

4 . سورة الأعراف، الآيتان 133، 134.

موسى ربّه، فكشف عنهم العذاب الّذي نزل بهم، فنكثوا العهد ولم يؤمنوا.

وذكر طائفة من المفسّرين أنّ المراد بالعذاب هنا الطّاعون، كما في الموضع الأوّل، وذكر قوم أنّ المراد بالعذاب الآياتُ الخمس المذكورة قبلُ، في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾[1]، وذلك كلّه داخلٌ في عموم معنى العذاب، فلا خلاف -فيما وقفتُ عليه- في تفسير الرّجز هنا بالعذاب[2].

وممّا يدلّ على هذا دلالةً قطعيّة أنّ القصّة نفسها وردت في موضع آخر من القرآن الكريم، واستُعمل فيها لفظ (العذاب)، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَاۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُواْ يَٰأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٩﴾﴾[3].

- **الموضع الخامس:** في قول الله ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَاعَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾[4]:

القصّة الّتي جاء لفظ (رجز) في سياقها في هذه الآية هي القصّة المذكورة في الموضع الأوّل، والكلام في تفسير هذه الآية كالكلام في تفسير تلك، لا سيما فيما يتعلّق ببيان معنى الرّجز[5].

- **الموضع السّادس:** في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[6]:

ورد لفظ (رجز) في هذه الآية في سياق ذكر قصّة قوم لوط عليه السلام، قال ﷻ: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ

1 . سورة الأعراف، الآيتان 131، 132.

2 . ينظر: جامع البيان (399/10 - 403)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (2519/4)، المحرّر الوجيز (445/2، 446)، الجامع لأحكام القرآن (315/9)، تفسير البحر المحيط (373/4، 374)، تفسير التّحرير والتّنوير (71/9 - 74).

3 . سورة الزّخرف، الآيات 47 - 49، وينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمّد الأمين الشّنقيطي (272/7).

4 . سورة الأعراف، الآية 162.

5 . ينظر: جامع البيان (506/10)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (2599/4)، المحرّر الوجيز (467/2)، تفسير التّحرير والتّنوير (516/1).

6 . سورة العنكبوت، الآية 34.

﴿٢٨﴾ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاۖ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1] **حيث يخبر ﷻ هنا عن نبيّه لوطٍ عليه السلام، إذ أرسله إلى قومه ينهاهم عمّا كانوا يقارفونه من الفواحش، فكذّبه قومه وسخروا منه، وقالوا له مستهزئين: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾! ثمّ أخبر ﷻ في آخر الآيات عن مجيء الملائكة لوطاً، وإخبارهم إيّاه أنّه سينزل بقومه عذابٌ أليم بسبب فسقهم، وأنّ الله سينجّيه هو وأهله، إلّا أمرأته الّتي كانت ممالئة لقومها في فعلهم.**

وقد جاء في غير هذه السّورة بيانُ حقيقة العذاب الّذي أنزله الله بهم، كما في قوله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَآ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨١﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾﴾[2].

فلم يُختلَف في أنّ المراد بـ(الرّجز) المذكور في آية سورة العنكبوت: العذابُ[3].

- **الموضع السّابع: في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[4]:**

ورد لفظ (رجز) في هذه الآية في سياق إثبات البعث، والرَّدّ على منكريه. قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم

1 . سورة العنكبوت، الآيات 27 - 34.

2 . سورة هود، الآيات 80 - 82.

3 . ينظر: جامع البيان (506/10)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (2599/4)، المحرّر الوجيز (467/2)، تفسير التّحرير والتّنوير (245/20، 246 - 133/12).

4 . سورة سبأ، الآية 5.

مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[1].

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات عن مقالةِ بعض المشركين المنكرين البعث، وكأنّه حَمَلَهم على مقالتهم هذه استبطاءُ السّاعة، فأمر اللهُ رسولَه ﷺ أن يردّ عليهم، وأن يُقسِمَ لهم أنّ السّاعة آتية، إلّا أنّه لا يعلم وقتَ مجيئها إلّا الله ﷻ، عالمُ الغيب الّذي لا يغيب عن علمه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء، كبُر أو صغُر، بل ذلك كلّه محفوظ عنده، مكتوبٌ في كتابٍ يَبِينُ للنّاظر فيه أنّ الله قد أحصاه وعلِمَه؛ ليُثيبَ الّذين آمنوا به واستقاموا على طاعته بمغفرة سيّئاتهم وإدخالهم الجنّة يوم القيامة. وأمّا الّذين اجتهدوا في صدِّ النّاس عن سبيل ربّهم، وتكذيبِ رسولِ الله ﷺ فيما يخبر به من الرّسالة والقرآن، ظانّين أنّهم يمكنهم الإفلات من عذاب الله- فأولئك جزاؤهم عذابٌ من أشدِّ العذاب الموجِع[2].

فالمراد بـ(الرّجز) في هذا الموضع -باتّفاق المفسّرين-: العذابُ الشّديد، أو سوءُ العذاب.

- **الموضع الثّامن:** في قول الله ﷻ: ﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[3]:

سورةُ الجاثية إحدى السّور المفتتحة بالحروف المقطّعة؛ لذا كان من أغراضها إثباتُ كونِ القرآن من عند الله ﷻ، وتحدِّي الّذين كذّبوا محمّداً ﷺ أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم.

وقد ورد لفظ (رجز) في هذه الآية في سياق الوعيد لمن كذّب بالقرآن الكريم، الّذي أخبر الله عنه أنّه هدىً؛ حيث توعّد ﷻ من كفر بآياته بعذاب من أشدِّ العذاب الموجِع[4].

فالمراد بـ(الرّجز) في هذا الموضع: العذابُ، وذلك باتّفاق المفسّرين فيما وقفتُ عليه.

الفرع الثّاني: الآيات الّتي ورد فيها لفظ (الرّجز) واختلفت أقوال المفسّرين في بيان المراد منه:

اختلفت أقوال المفسّرين في بيان معنى لفظ (الرّجز) في موضعين من القرآن الكريم:

- **الموضع الأوّل:** في قول الله ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[5]:

1 . سورة سبأ، الآيات 3 - 5.

2 . ينظر: جامع البيان (209/19 - 212)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (5884/9 - 5887)، المحرّر الوجيز (405/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (140/22 - 144).

3 . سورة سبأ، الآية 5.

4 . ينظر: جامع البيان (78/21)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (6773/10)، المحرّر الوجيز (81/5، 82)، تفسير التّحرير والتّنوير (324/25، 325، 334، 335)، وقرأ الجمهور (أليم) بالخفض؛ على أنّه نعتٌ للرّجز، وقرأ ابن كثير ويعقوبُ وحفصٌ عن عاصم بالرّفع؛ على أنّه نعت للعذاب. ينظر: النّشر في القراءات العشر، لابن الجزريّ (349/2).

5 . سورة الأنفال، الآية 11.

ورد لفظ (رجز) في هذه الآية في سياق ذكر أحداث غزوة بدر، وذلك أنّه ورد أنّ المشركين سبقوا إلى الماء يومئذ، فعطش المسلمون، وأصاب كثيراً منهم جنابة، فاغتمّوا لذلك غمّاً فوق غمّ، ووسوس إليهم الشّيطان إذ ذاك: كيف تزعمون أنّكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون إلى الماء، وتُصلّون مُجْنِبِينَ لعدم الماء؟! إلّا أنّ الله ﷻ أدرك عباده المؤمنين برحمته، فأنزل عليهم النّعاس ليكون سكينة لهم وأمناً لنفوسهم، وأنزل ﷻ مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهّروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون من الغمّ ووسوسة الشّيطان. وكانت الأرض بينهم وبين الكفّار رملاً يعسر المشيُ فيها، فاستقرّت بنزول المطر عليها، فذلك هو تثبيت الأقدام[1].

وقد ورد لفظ (رجز) في هذا السّياق مضافاً إلى الشّيطان، وللمفسّرين في بيان المراد به ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: أنّ المراد بـ(رجز الشّيطان): وسوستُه، وتخويفُه المؤمنين بما ألمّ بهم من عطشٍ وضعف. وعلى هذا القول أكثر المفسّرين، وهو مفادُ الآثار الواردة عن السّلف -كابن عبّاس ومجاهد وقتادة- في تفسير الآية[2].

القول الثّاني: أنّ المراد بـ(رجز الشّيطان): الجنابةُ الّتي أصابت أكثرهم؛ إذ هي بسبب وساوسه. كما أنّ النّجاسة الحاصلة من الجنابة -مع عدم القدرة على تطهيرها لفقد الماء- تلائم طبع الشّيطان[3].

القول الثّالث: أنّ المراد بـ(رجز الشّيطان): كلُّ ما يدعو إليه من معصية وفساد[4].

وبالرّجوع إلى الأصل الّذي يرجع إليه لفظ (الرّجز)، والمعاني الّتي ورد عليها في لغة العرب -وأشهرها: العذاب، كما مرّ بيانه في المطلب الأوّل- فإنّه يمكن أن تُوجَّه إضافة الرّجز إلى الشّيطان على أنّه سببٌ للعذاب، سواءٌ كان المراد برجز الشّيطان وسوستَه وتخويفَه، أو الجنابةَ، أو كلَّ ما يدعو إليه من معصية؛ فاستُعمل لفظ الرّجز في الدّلالة على هذه المعاني أو بعضها على طريقة المجاز المرسل الّذي علاقته السّببيّة.

وقد ذكر ذلك بعضُ المفسّرين. قال ابن قتيبة: "الرّجز: العذاب .... ثمّ قد يُسمّى كيد الشّيطان رجزاً لأنّه سبب العذاب. قال الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾"[5].

---

1 . ينظر: جامع البيان (59/11 - 68)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (2749/4 - 2754)، المحرّر الوجيز (506/2، 507)، تفسير التّحرير والتّنوير (278/9 - 280).

2 . ينظر: جامع البيان (63/11 - 67).

3 . ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير (279/9، 280). ولعلّه على هذا المعنى تتوجّه قراءة أبي العالية -وهي قراءة شاذّة- ﴿رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ بالسّين، إذ لفظُ (الرّجس) -مع كونه قريباً من لفظ (الرّجز) في المعنى، مشتركاً معه في بعض الدّلالات- أقربُ في الدّلالة على معنى القَذَر والنّجاسة من لفظ (الرّجز)، وقد مرّ بيان ذلك في المطلب الأوّل. غير أنّي لم أجد من نصّ بوضوح على هذا التّوجيه لتلك القراءة، بل اعتمدوا في توجيهها على ما بين اللّفظين من اشتراكٍ في المعنى، وإن كان في كلام الزّمخشريّ وابن عطيّة ما يحتمل أن يكون إشارة لذلك. ينظر: الكشّاف، للزّمخشريّ (561/2)، المحرّر الوجيز (506/2)، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنّي (275/1).

4 . ينظر: التّفسير الكبير، للرّازي (138/15).

5 . تأويل مشكل القرآن (ص471).

ونقل ابن الجوزي عن ابن الأنباريّ أنّه قال: "ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السّماء، فزالت وسوسة الشّيطان الّتي تُكسب عذابَ الله وغضبَه، إذ الرّجز: العذاب"[1].

وقال الواحديّ: "وقوله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني وسوسته الّتي تُكسِب عذاب الله"[2].

ووجّه بعضهم ذلك على أنّ المراد بالعذاب هنا ما وجده المؤمنون مقدمَهم بدراً من ألمِ النّفس بسبب وسوسة الشّيطان وكيده وما ألقى عليهم من الجنابة. وعلى هذا القولِ يكون لفظ (رجز) في الآية مستعملاً في معنىً حقيقيّ لا مجازيّ. قال ابن عطيّة: "﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي عذابه لكم بوساوسه ..."[3].

والحاصل أنّه حتّى مع اختلافِ المفسّرين في بيان المراد بالرّجز اختلافاً حقيقيّاً، فإنّه يمكن من غير تكلّف إرجاعُ تلك الأقوال إلى معنى العذاب. وبذلك يكون المعنى الّذي دلّ عليه لفظ (رجز) في هذا الموضع متّسقاً مع المعنى الّذي دلّ عليه في المواضع المذكورة سابقاً، والّتي اتّفق المفسّرون على أنّ المراد بالرّجز فيها العذابُ، والله أعلم.

- **الموضع الآخر:** في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[4]:

ورد لفظ (الرّجز) في هذا الموضع في سياق أوامر من الله ﷻ لنبيّه محمّدٍ ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾[5]: يأمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن ينذرَ قومه عاقبةَ شركهم به وعبادتِهم غيرَه، وأن يعظِّمَ ربَّه ويُفردَه بالعبادة والرّغبة والرّهبة، وأن يحرصَ على طهارة ظاهره وباطنه -بتعاطي أسباب صلاحِ القلب، وإزالةِ ما يعرض من نجاسات في الثّياب والبدن- وأن يجتنب عبادةَ الأوثان وسائرَ الآثام الّتي تكون سبباً لسخط الله وعذابِه[6].

وللمفسّرين أقوال في بيان المراد بالرّجز في هذا الموضع، أشهرها ثلاثة[7]:

القول الأوّل -وهو قول أكثر المفسّرين من السّلف-: أنّ المراد بـ(الرّجز) هنا: الأصنامُ. وقد ورد هذا المعنى عن

1 . زاد المسير في علم التّفسير (ص543).

2 . الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحديّ (447/2).

3 . المحرّر الوجيز (506/2).

4 . سورة المدّثّر، الآية 5.

5 . سورة المدّثّر، الآيات 1 - 5.

6 . ينظر: جامع البيان (410/23 - 412)، التّسهيل لعلوم التّنزيل، لابن جزيّ (533/3 - 535)، تفسير التّحرير والتّنوير (294/29 - 298)، تيسير الكريم الرّحمن، لعبد الرّحمن السّعديّ (ص1056، 1057).

7 . ينظر: التّسهيل لعلوم التّنزيل (535/3).

ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن البصريّ[1]، وهو قول الخليل بن أحمد من أئمّة اللّغة[2].

القول الثّاني: وهو أعمّ من الأوّل، حيث قالوا: المراد بـ(الرّجز) هنا: الإثم أو المعصية، ويدخل في ذلك الشّرك وعبادة الأوثان. وهذا المعنى مرويّ عن إبراهيم النّخعي والضّحّاك[3].

القول الثّالث: أنّ المراد بـ(الرّجز): العذاب. وهذا القول تفسيرٌ للرّجز بأشهر استعمالاته في اللّغة[4].

وبالنّظر في هذه الأقوال الثّلاثة يُلاحَظ أنّه يمكن الجمع بينها بلا تكلّف، بل يمكن عدّ الخلاف بينها من قبيل خلاف التّنوّع؛ فالقول الأوّل يدخل ضمن القول الثّاني؛ إذ الشّرك أخصُّ من المعاصي، والمعاصي جميعها -وأعظمُها الشّرك- سببٌ لاستحقاق عذاب الله، فناسب أن يُسمّى الشّرك والمعاصي رجزاً -والرّجزُ: العذاب-؛ لأنّها سببٌ له. وقد جاء عن ابن عبّاس ﷺ ما يدلّ على هذا، فعند الطّبريّ بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال في تفسير الرّجز: "يقول: السُّخط، وهو الأصنام"[5]. قال ابن عطيّة: "وقال ابن عبّاس: الرّجز السّخط؛ فالمعنى: اهجر ما يؤدّي إليه ويوجبه"[6].

1 . ينظر: جامع البيان (400/23 - 412)، الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور، للسّيوطيّ (63/15 - 67).

2 . ينظر: كتاب العين (66/6) حرف الجيم، باب الجيم والزّاي والرّاء. وقد حاول بعض المفسّرين تخريج هذا القول بجعل لفظ الرّجز هنا خاصّةً منقلباً عن الرّجس، يقول البغويّ: "وقيل: الزّاي فيه منقلبة عن السّين، والعرب تعاقب بين السّين والزّاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التّأويل قوله: ﴿فَاجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ (الحجّ: 28)" معالم التّنزيل (265/8). يعني أنّه لمّا عُلمَ من طريق الأثر أنّ المراد بالرّجز في آية سورة المدّثّر –دون غيرها من المواضع- الأوثانُ، وجاءتْ آية سورة العنكبوت تنبئُ أنّ الأوثانَ رجسٌ- ترجّح في هذا الموضع أن تكون الزّاي منقلبةً عن السّين. إلّا أنّ كلام أهل اللّغة -كما مرّ في المطلب الأوّل- لا يؤيّد هذا التّخصيص؛ إذ مَنْ جعل (الرّجز) منقلباً عن (الرّجس) أطلق هذا في موارده في القرآن الكريم كلّها، سواءٌ كان المراد به الأوثانَ أو العذابَ، والله أعلم.

3 . ينظر: جامع البيان (411/23، 412).

4 . ينظر: معاني القرآن وإعرابه (245/5)، تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص495)، مفردات ألفاظ القرآن (ص342) مادّة (رجز)، التّسهيل لعلوم التّنزيل (535/3). وقد جعل الرّازي هذه الأقوال الثّلاثة راجعةً إلى معنىً واحد-وهو العذاب- ثمّ ذكر قولاً آخر، وهو أنّ المراد بـ(الرجز): القبيحُ المستقذَر، فهو –على هذا- بمعنى (الرّجس)، وتكون الآية أمراً عامّاً بترك القبائح كلّها. ينظر: التّفسير الكبير (193/30). ولم أثبت هذا القول لعدم شهرته؛ إذ لم أجد من ذكره غير الرّازي، وإن كان مؤدّاه قريباً ممّا نُقل قريباً عن البغويّ في توجيه قولِ من جعل (الرّجز) في هذه الآية منقلباً عن (الرّجس)، مع اختلافٍ ظاهرٍ بين القولين في المأخذ.

5 . جامع البيان (410/23).

6 . المحرّر الوجيز (393/5). وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ في لفظ (الرّجز) في هذا الموضع قراءتين متواترتين: حيث قرأ أبو جعفر ويعقوب وحفصٌ عن عاصم بضمّ الرّاء، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: النّشر في القراءات العشر (393/2). وفرّق بعض أهل اللّغة بين القراءتين من حيث المعنى، فقالوا: الرُّجزُ -بالضّم- الأوثان، والرِّجزُ -بالكسر-: العذاب. وقد نسبه الطبريّ للكسائيّ، ورجّح خلافه. ينظر: جامع البيان (410/23). وقد يُفهَم القول بالتّفريق بين القراءتين من كلام يحيى بن سلام، حيث فسّر (الرّجز) في آية سورة المدّثر بالأوثان، ثمّ قال: "ومثله كلُّ شي مرفوع في القرآن". ينظر: التّصاريف (321/4). إلّا أنّ أكثر أهل اللّغة والتّفسير -فيما وقفتُ عليه- على خلاف ذلك، وقد نصّ على عدم الفرق بين الضّمّ والكسر من حيث المعنى الخليلُ بن أحمد، والفرّاءُ، والزّجّاجُ، وقد مرّ النّقل عنهم في ذلك في الفرع الأوّل من المطلب الأوّل.

وقال ابن قتيبة: "وقال الله ﷻ: ﴿والرِّجزَ فاهجر﴾، يعني الأوثان، سمّاها رجزاً -والرّجزُ: العذاب- لأنّها تؤدّي إليه"[1].

وقال البغويّ: "ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال"[2].

خلاصة المطلب الثّاني:

1. ورد لفظ (الرّجز) في عشرة مواضع من القرآن الكريم.
2. اتّفق المفسّرون على تفسير لفظ (الرّجز) في ثمانية مواضع، فقالوا: المراد بـ(الرّجز): العذاب.
3. اختلفت عبارات المفسّرين في تفسير لفظ (الرّجز) في موضعين، على أقوال في كلٍّ منهما، إلّا أنّه يمكن توجيه تلك الأقوال بما يتّسق مع الاستعمال الغالب للفظ الرّجز في اللّغة، وهو الدّلالة على العذاب. وعلى هذا يمكن أنّ يتوجّه القول بأنّ كلّ ما ورد في القرآن من (الرّجز) معناه العذابُ، والله أعلم[3].

1 . تأويل مشكل القرآن (ص471).

2 . معالم التّنزيل (265/8).

3 . ينظر: كلّيّات الألفاظ في التّفسير، لبريك القرني (312/1 - 325).

المطلب الثّالث: معنى (الرّجس) في القرآن الكريم

تمهيد:

وردت هذه المفردة (رجس) -أيضاً- في عشرة مواضع من القرآن الكريم، في سبع سورٍ -أيضاً-، منها ثلاث سور مكّيّة، وأربع سور مدنيّة.

وهي ليست من المفردات الّتي اشتهرت ضمن مبحث (الكلّيّات) على أنّ لها معنىً واحداً في كلّ مواردها في القرآن الكريم، ولا ضمن مبحث (الأفراد) على أنّ لها معنىً واحداً باستثناء فرد[1]، فهي ليست في هذا كمفردة (الرّجز).

إلّا أنّي وقفتُ على أثرٍ يدلّ على أنّه ثمّة مَن عدّها من أفراد القرآن الكريم، وإن لم يكن ذلك مشتهراً. فقد أخرج الطّبريّ بسنده عن عبد الرّحمن بن زيد في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]- أنّه قال: "(الرّجس) ههنا: الشّيطان، وسوى ذلك من (الرّجس): الشّرُّ"[3].

وهذا الّذي ورد عن ابن زيدٍ محتملٌ، إلّا أنّه ليس مسلّماً، وسيأتي مزيد بيانٍ لذلك عند الحديث عن هذا الموضع، إن شاء الله.

وفيما يلي عرضٌ للآيات الّتي ورد فيها لفظ (الرّجس) في القرآن الكريم، وفق ترتيبها في المصحف، مع تفسيرها باختصار، وفق ما جاء في أشهر كتب التّفسير:

- **الموضع الأوّل:** في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]:

هذه الآية هي الّتي نزلت بتحريم الخمر[5]، وجاء فيها ذكرُ أمورٍ أمَرَ الله عبادَه باجتنابها، وهي الميسرُ، وعبادة الأصنام، والاستقسام بالأزلام. وقد ذمَّ الله في الآية الكريمة هذه الأربع -الخمر، والميسر، وعبادة الأصنام، والاستقسام بالأزلام- بأنواع من الذّمّ، ومِن ذلك وصفُها بأنّها رجسٌ.

والرّجسُ في الآية يُراد منه الإثمُ والشّرُّ، أي إنّ تعاطي أيٍّ من الأمور الأربعة المذكورة في الآية هو من جملة المحرّمات. ويستبينُ هذا بالأمر باجتنابها في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾؛ إذ الضّمير عائدٌ إلى ﴿رِجْسٌ﴾ الّذي هو وصفٌ

1 . لم يذكرها أحمد بن فارس في كتابه (أفراد كلمات القرآن العزيز)، ولا بريك القرني في بحثه (كلّيّات الألفاظ في التّفسير)، ولم أجد من صرّح بشيء من ذلك من أصحاب كتب التّفسير، وإن كان كلام الرّاغب يحتمله. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص432) مادّة (رجس).

2 . سورة الأحزاب، من الآية 33.

3 . جامع البيان (101/19). وقد ذكر المحقّق في الهامش أنّ لفظ "الشّرّ" وقع في المطبوعات السّابقة "الشّرك"، ولعلّه أقرب؛ لاتّساقه مع المعاني الّتي ذكرها المفسّرون للفظ (الرّجس) في عامّة موارده في القرآن، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

4 . سورة المائدة، الآية 92.

5 . ينظر: المحرّر الوجيز (233/2)، الجامع لأحكام القرآن (157/8).

لهذه الأمور الأربعة. ويتأكّد هذا المعنى بقوله ﷻ: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، أي إنّه هو الّذي يزيّن للنّاس تعاطيَها؛ ليوقِعَهم في معصية الله وسَخَطِه، وفي هذا تنفير بالغٌ عنها[1].

وقد مرّ في الفرع الثّاني من المطلب الأوّل- أنّ لفظ (الرّجس) يُستعمَل استعمالاً غالباً في الدّلالة على القَذَر، وقد ذهب جمهورُ الفقهاء وطائفةٌ من المفسّرين إلى حمله في الآية في شأن الخمر خاصّة على هذا المعنى، إضافةً للمعنى الأوّل، وهو الإثم. واستدلّوا بالآية على نجاسة الخمر[2].

وعليه فإنّ لفظ (رجس) في الآية يُراد منه الإثمُ الّذي هو سببٌ لسخط الله، وقد يكون مراداً منه -فوق ذلك- القَذَرُ. كما أنّه قد يكون مراداً وصفُ المذكورات في الآية غير الخمر -ولو لم تكن نجسةً حسّاً- بنجاسة معنويّة؛ تنفيراً عنها، وتحذيراً من مقارفتها.

ويظهر لك ههنا أنّ استعمال لفظ (الرّجس) دون لفظ (الرّجز) كان دقيقاً للغاية؛ لأنّه أوسعُ دلالةً وأوفق للمعاني المرادة، فلفظ (الرّجز) لا يدلُّ في الاستعمال المشهور، على معني القَذَر؛ فيبعُد أن يُستعمَل في الدّلالة على النّجاسة الحسّيّة أو المعنويّة.

وبهذا يستبين لك دقّة الاستعمال القرآنيّ، الّذي هو وجهٌ من وجوه الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

- **الموضع الثّاني: في قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُّرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَّهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَنْ يُّرِدْ أَنْ يُّضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]:**

يخبر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة عن أحوال الخلق في تلقّي الحقّ، بتقدير الله ومشيئته:

فمنهم من أراد الله له -بفضله ورحمته- التّوفيقَ والسّعادة، فجعل نفسه قابلةً للحقّ، ووطّنه لقبوله. ومنهم من أراد الله له الضّلال والشّقاء، وقدّر عليه ذلك بعدله وحكمته؛ فتضيقُ نفسه عن قبول الحقّ والهدى، ولا يجد الإيمانُ إلى قلبه منفذاً، ويصير حاله عندما يُعرَضُ عليه الإسلام كحال الصّاعد إلى السّماء الّذي يضيق نَفَسُه، أو الّذي يُطلَب منه الصّعود إليها وهو عن ذلك عاجز.

وكما يقدّر الله الضّلال على من شاء بحكمته وعدله- فإنّه ﷻ يُلقي أسبابَ الشّرّ والمآثم على قلوبِ الّذين لا يُقبِلون على الإيمان والهدى، ويسلّط عليهم الشّياطين حتّى تتمكّن منهم، وتصير تلك الحال الخبيثة ملازمةً لهم لا ينفكّون عنها؛ فتحقّ عليهم لعنة الله وعذابه[4]. نعوذ بالله من سوء الحال والمنقلَب!

و(الرّجس) في الآية يُراد به الشّيطان، كما جاء عن ابن عبّاس. ويُراد به الشّرّ المحض الّذي لا خير فيه، كما

1 . ينظر: جامع البيان (656/8)، الجامع لأحكام القرآن (159/8، 160)، تفسير التّحرير والتّنوير (23/7 - 26).

2 . ينظر: الجامع لأحكام القرآن (160/8)، أضواء البيان (152/2 - 155).

3 . سورة الأنعام، الآية 126.

4 . ينظر: جامع البيان (541/9 - 553)، المحرّر الوجيز (343/2، 344)، تفسير التّحرير والتّنوير (57/8 - 63).

جاء عن مجاهد بن جبر. ويُراد به العذاب، كما جاء عن عبد الرّحمن بن زيد[1].

وقال الزّجّاج في تفسير (الرّجس) في هذا الموضع: "اللّعنة في الدّنيا، والعذابُ في الآخرة"[2].

وهذه المعاني كلّها -الشّيطان، والشّرّ، واللّعنة، والعذاب- أمورٌ خبيثةٌ تستقذرها النّفس السّويّة وتنفر عنها، فلا تعارض بين هذه الأقوال؛ إذ يمكن أن يُقال: إنّها تمثّل أحوالاً متعاقبةً متلازمةً لمن قدّر الله عليه الضّلال، ولم يشرح صدرَه للإسلام! والمعنى الّذي أفاده لفظ (الرّجس) في الآية راجعٌ إلى المعنى اللّغويّ الغالب له، وهو معنى القَذَر والنَّتَن[3].

ويُلاحَظُ هنا أنّ معنى الآية اتّسع باستعمال لفظ (الرّجس) في هذا الموضع، حيث أدّى من المعاني ما لا يمكن أن يؤدّيه لفظ (الرّجز) -على القول بالتّفريق بينهما في الدّلالة- فيما لو كان هو المستعمَل. وما أحسنَ قولَ ابن عطيّة: "كتابُ الله لو نُزِعَتْ منه لفظةٌ ثمّ أديرَ لسانُ العرب في أن يوجد أحسَنُ منها لم يوجد"[4].

- **الموضع الثّالث: في قول الله ﷻ:** ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلاَّ أَنْ يَّكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنُ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]:

جاءت هذه الآية في سياق الرّدّ على المشركين في تحريمهم أنواعاً من المآكل لم يحرّمها الله ﷻ[6]، فجاءت الآية الكريمة كجوابٍ لسائلٍ سأل عمّا حرّم الله ﷻ إذ لم يحرِّم ما زعم المشركون تحريمه، فأخبر ﷻ أنّ المحرَّمَ من المطاعم هو الميتة الّتي لم تُذكَّ، والدّم المسفوح المهراق، ولحم الخنزير لخُبْثِه ونجاسته، وما ذُبح أو نُحِرَ تقرّباً لشيء من الأصنام الّتي تُعبَد من دون الله[7].

وقد وقع لفظ (رجس) في الآية الكريمة خبراً عن الضّمير المتّصل، واختُلِف في عود هذا الضّمير: فقيل: هو عائد إلى أقرب مذكور، وهو الخنزير. وقيل: هو عائد إلى لحم الخنزير؛ لأنّ السّياق في ذكر لحم الخنزير لا الخنزيرِ

1 . ينظر: جامع البيان (551/9، 552).

2 . معاني القرآن وإعرابه (290/2).

3 . يُنظر: جامع البيان (552/9، 553)، فتح القدير (226/2).

4 . المحرّر الوجيز (52/1).

5 . سورة الأنعام، الآية 146.

6 . وذلك في سورة الأنعام، الآيات 139 - 145.

7 . ينظر: جامع البيان (631/9 - 635)، تفسير التّحرير والتّنوير (138/8 - 140). وقد وردتْ هذه الآية في سياقٍ محدّد، كما أنّها آية مكّيّة على المشهور، ثمّ حُرّمتْ بعد ذلك أشياء بنصوص أخرى من القرآن والسّنّة. إلّا أنّ هذه الآية تُعدُّ من الأدلّة الرّئيسة في مسألة المحرّمات من المطاعم، وقد كانت مجالاً واسعاً للبحث من قِبل المفسّرين الفقهاء. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (80/9 - 96)، أضواء البيان (289/2 - 327).

كلِّه، فناسب أن يكون عود الضّمير إليه. وقيل: يعود الضّمير إلى اسم (يكون) المقدّر، وعلى هذا يكون الرّجس مسنَداً إلى المذكورات الثّلاث قبله: الميتةِ، والدّمِ المسفوح، ولحمِ الخنزير[1].

وعلى كلٍّ فإنّ معنى اللّفظ ظاهرٌ، مناسبٌ للسّياق غاية المناسبة؛ فهو في سياق ذكر محرّماتٍ من المطاعم، وهي -فوق ذلك- أمورٌ خبيثة مستقذرة مضرّة.

ويُلاحَظُ أنّ المحرَّم الرّابع -وهو ما أُهلَّ لغير الله به، أي ما ذُبح لغير الله أو ذُكِرَ عليه اسمُ غيره ﷻ[2]- عُطِفَ على المحرّمات قبله بعد وصف تلك المحرّمات بأنّها رجس؛ لأنّ ما أُهِلَّ لغير الله به خارجٌ عن ذلك الوصف؛ إذ هو ليس برجس، أي ليس مستقذَراً طبعاً، وليس تحريمه لضرر مادّيّ يرجع على آكله، وإنّما حُرِّمَ تحريماً تعبّديّاً، خلافاً للمحرّمات الموصوفة بأنّها رجس[3].

وهذان المعنيان (القَذَر، والضّرر) يعبّر عنهما لفظ (الرّجس) بجلاء، ولا يمكن أن يؤدّيهما على هذا الوجه لفظُ (الرّجز)، على نحو ما مرّت الإشارة إليه عند الحديث عن الآية السّابقة.

- **الموضع الرّابع:** في قول الله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[4]:

جاءت هذه الآية في سياق ذكر قصّة هودٍ قومِ عادٍ عليه السلام، حيث أمر قومَه بعبادة الله وحده، وأخبرهم أنّه رسول الله إليهم، وذكّرهم ببعض نعمه ﷻ عليهم، وتوعّدهم بالعذاب إذا هم أقاموا على شِرْكِهم. فقابلوا دعوته بالتّكذيب والإساءة، واستنكروا أن يأمرهم بعبادة الله وحده وتركِ ما وجدوا عليه آباءهم من عبادة الأصنام، واستهزؤوا به وبما جاءهم به من الوعيد!

فقال لهم هودٌ المقالةَ الّتي حكاها الله عنه، متوعّداً إيّاهم باللّعنة والعذاب؛ لعنادهم وإصرارهم على شركِهم بلا حجّةٍ ولا برهان[5].

وكان ممّا قال لهم: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾. وقد اختلفت عبارات المفسّرين في بيان المراد بلفظ (رجس) في الآية الكريمة:

فقال أكثرهم: المراد بـ(الرّجس) هنا: العذاب، وهو -على هذا- مرادفٌ للرّجز، حتّى نقل الطّبريّ عن بعض أهل

1 . ينظر: تفسير البحر المحيط (242/4، 243)، تفسير التّحرير والتّنوير (139/8).

2 . ينظر: جامع البيان (55/3 - 58).

3 . ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير (139/8)، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان (ص311).

4 . سورة الأعراف، الآية 70.

5 . ينظر: جامع البيان (264/10 - 281)، الهداية إلى بلوغ النّهاية (2419/4 - 2425)، تفسير البحر المحيط (326/4 - 329)، فتح القدير، للشّوكانيّ (307/2، 308)، تفسير التّحرير والتّنوير (8. 200/2 - 213)، تيسير الكريم الرّحمن (ص330، 331).

اللّغة في تفسيره هذه الآيةَ أنّ (الرّجس) و(الرّجز) بمعنىً واحد، بل نقل عنهم أنّ أصلهما واحدٌ، وأنّ الزّاي في لفظ (الرّجز) منقلبةٌ عن السّين[1].

واستُشكل بأنّ الجملة جاءت على صيغة الماضي، مع أنّه عند صدور الخطاب عن هودٍ عليه السلام لم يكن العذاب قد وقع بعد. وأُجيب عن هذا بأنّ الجملة جاءت على المُضيّ تنزيلاً للمستقبل منزلة الماضي؛ للدّلالة على تحقّق وقوعه[2].

وورد عن ابن عبّاس أنّ المراد بـ(الرّجس): السّخطُ[3]. وهذا يمكن توجيهه لمقاربة القول الأوّل -وهو أنّ المراد بالرّجس العذابُ- على اعتبار أنّ السّخطَ سببٌ للعذاب، فيكون استعمال لفظ (الرّجس) في الآية مجازاً مرسلاً علاقته السّببيّة. وعلى هذا تكون القرينة الصّارفةُ لإرادة المعنى الحقيقيّ هي أنّ الجملة جاءت على صيغة الماضي والعذابُ لمّا يقع بعد، وإنّما وقع عليهم سخطُ الله لمخالفتهم أمرَ رسوله واستكبارِهم عن عبادته وحده.

وقيل: الرّجس: خُبثُ نفوسهم وفسادُها والرَّيْنُ على قلوبهم؛ والمراد تقدير الله الكفرَ عليهم. ويشهد لهذا المعنى قولُ الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[4]. وعلى هذا يكون اللّفظ مستعمَلاً في معناه اللّغويّ الغالب -وهو القَذَرُ والنّتن، على ما مرّ بيانه في المطلب الأوّل- إطلاقاً مجازيّاً، تشبيهاً للباطن غير المحسوس بالظّاهر المحسوس[5].

وأقرب هذه الأقوال -فيما يظهر لي- القول الأخير؛ لوجود فرقٍ في الاستعمال اللّغويّ بين لفظي (الرّجس) و(الرّجز)، كما مرَّ بيانه. كما أنّ الغالبَ على استعمال لفظ (الرّجس) في القرآن أن يكون مراداً منه الدّلالةُ على خُبثٍ أو نتَنٍ أو شيء مستقذر، كما مرَّ بيانه عند الحديث عن المواضع الثّلاثة الأولى، وسيأتي مزيدُ بيانٍ لذلك، إن شاء الله.

وممّا يترجّح به القولُ الأخير أنّه لا يَرِدُ عليه الإشكال الوارد على القول الأوّل من كون العذاب لمّا يقع وقتَ مقالةِ هودٍ عليه السلام[6].

وعلى هذا يظهر لك دقّة الاستعمال القرآنيّ، حيث أدّى لفظُ (الرّجس) المعنى المرادَ على نحوٍ لا يمكن أن يُؤدَّى باستعمال لفظ (الرّجز) موضعه -لو كان- والله أعلم.

1 . ينظر: جامع البيان (280/10)، تفسير البحر المحيط (329/4).

2 . ينظر: تفسير البحر المحيط (329/4)، فتح القدير (308/2).

3 . ينظر: جامع البيان (280/10).

4 . سورة التّوبة، الآية 126. وينظر لتفسيرها: تفسير التّحرير والتّنوير (66/11).

5 . ينظر: التّفسير الكبير (145/14)، تفسير التّحرير والتّنوير (8. 210/2).

6 . ينظر: التّفسير الكبير (145/14).

- **الموضع الخامس:** في قول الله ﷻ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]:

وردت هذه الآية في سياق ذكر ما كان يوم تبوك، وتخلُّفِ المنافقين وبعض الصّحابة عنها، فأعلَمَ الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنّ المنافقين سيعتذرون إليهم إذا رجعوا إلى المدينة، وسيحلفون بالله كذباً تأكيداً لما يختلقونه من أعذار؛ طلباً لترك تأنيبهم لأجل تخلُّفِهم. فأمر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أن يُجيبوهم لمرادهم، ويتركوا تأنيبهم؛ لأنّ نفوسَهم خبيثة لا تقبل التّزكية ولا تنفع فيها النّصيحة[2].

ويُحتمل أن يكون المراد بالتّرك الّذي أمر الله به المؤمنين تركَ المكالمة، فهو أمرٌ بقطيعتهم ومجانبتهم. وعلى هذا يُوجَّه استعمالُ اللّفظِ نفسِه في الدّلالة على المعنيين -وهو لفظ الإعراض- بأنّ في ذلك إطماعاً لهم أوّلاً بأنّهم أُجيبوا إلى طِلبتهم، فإذا تأمّلوا وجدوا الأمرَ خلافَ مقصودهم؛ إذ طلبوا إعراض الصّفح فأُعطوا إعراضَ المتاركة وتركِ المخالطة. وعُلِّل الأمر بالإعراض عنهم بأنّهم رجس؛ فكأنّ الله أمَرَ عبادَه بالإعراض عنهم لئلّا يسري شيء من خُبثِ نفوسهم إلى المؤمنين بمخالطتهم[3].

ورغم التّقارب في المعنى بين لفظَيِ (الرّجس) و(الرّجز)- فإنّه ظاهرٌ أنّ استعمال لفظ (الرّجس) في سياق هذه الآية أبلغُ في الدّلالة على المراد؛ لأنّ المعنى المراد هو القذَرُ والنّتَن والخَبَث -وهو هنا قذَرٌ معنويّ- لا العذاب، الّذي هو أشهر معاني لفظ (الرّجز). وهذا يرّجح أنّ اللّفظين ليسا -رغم تقاربهما- متطابقين معنىً.

- **الموضعان السّادس والسّابع:** في قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[4]:

يخبر الله في هذه الآية عن حال المنافقين مع تنزُّلِ سُوَرِ القرآن الكريم، حيث ورد قبل ذلك حكايةُ سؤالهم -سؤالَ تهكُّمٍ إنكاريّ- عمّن تزيده سُوَر القرآن الكريم إيماناً إذا نزلَتْ، فجاءتهم الإجابة من الله ﷻ إخباراً عن أحوال النّاس مع تنزُّلِ سُوَر القرآن الكريم، حيث أخبر ﷻ أنّ سُوَرَ القرآن الكريم تزيد بنزولها المؤمنين إيماناً، بل هي -فوق ذلك- تكون سبباً لاستبشارهم، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[5]، ثمّ أخبر ﷻ عن حال المنافقين المقابلةِ

1 . سورة التّوبة، الآية 96.

2 . ينظر: الكشّاف (82/3)، تفسير البحر المحيط (93/5).

3 . ينظر: التّفسير الكبير (168/16)، تفسير التّحرير والتّنوير (9/11).

4 . سورة التّوبة، الآية 126.

5 . سورة التّوبة، الآية 125.

لحال المؤمنين، إذ لم ينتفِ تأثير السُّوَر في حقّهم -كما يُفهَم من سؤالهم إذ توهّموا أنّ تنزّل السُّوَر لا تأثير له-، ولكن تأثير نزول السُّوَر الكريمة في المنافقين يكون بزيادتهم نَتَناً وخُبثاً ونفاقاً وكفراً، ممّا يكون سبباً في أمرٍ أقبحَ وأخطرَ، وهو احتجاب الإيمان والتّوبة عنهم، حتّى يُختمَ لهم بالكفر -عياذاً بالله-، وهذا قولُه ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾[1].

ويظهر ممّا سبق أنّ معنى لفظ (الرّجس) في الآية: النّتَنُ أو الخبث، وهو نتنٌ حسّيٌّ، والمراد به الكفر والنّفاق. فجاء استعمال اللّفظ دقيقاً كما هو الشّان في القرآن الكريم. فرغمَ أنّ ما يحصل للمنافقين بنزول سُوَرِ القرآن الكريم من ازدياد في النّفاق والكفر وموتٍ على ذلك- يكون سبباً في عذابهم، إلّا أنّ استعمال لفظِ (الرّجس) فيه من الذّمّ والوعيد والتّنفير ما ليس في لفظ (الرّجز) لو استُعمل في هذا الموضع. كما أنّ معنى العذاب قد يكون مراداً أيضاً من لفظ (الرّجس) في الآية، كما هو معلومٌ من القدر المشترك في المعنى اللّغويّ بين اللّفظين، على ما مرّ بيانه في المطلب الأوّل. قال ابن عطيّة: "و(الرّجس) في هذه الآية عبارةٌ عن حالهم الّتي جمعتْ معنى (الرّجس) في اللّغة؛ وذلك أنّ (الرّجس) في اللّغة يجيء بمعنى القَذَر، ويجيء بمعنى العذاب، وحال هؤلاء المنافقين هي قَذَر، وهي عذابٌ عاجل كفيلٌ بآجل"[2].

وهذا يُظهر -لِمَن تدبّر- الدقّةَ المتناهية في الاستعمال القرآنيّ، الّذي هو مِن أبرز وجوهِ الإعجاز البلاغيّ في كتاب الله الكريم.

- **الموضع الثّامن: في قول الله ﷻ:** ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[3]:

وردت هذه الآية في سياق تسلية النّبيّ ﷺ؛ إذ كان ﷺ حريصاً غاية الحرص على أن يؤمن النّاس، يكاد يُهلكُ نفسه من شدّة الأسى على من عاند واستكبر وأصرّ على الكفر بالله ﷻ، كما قال ربنّا ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[5]. وهذا من كمال نُصحِه ورحمته وشفقته، صلّى الله عليه وسلّم!

1 . ينظر: جامع البيان (90/12)، التّفسير الكبير (236/16 - 238)، تفسير التّحرير والتّنوير (64/11 - 66)، تيسير الكريم الرّحمن (ص408).

2 . المحرّر الوجيز (98/3).

3 . سورة يونس، الآية 100.

4 . سورة الكهف، الآية 6. ولتفسيرها يُنظر: تفسير القرآن العظيم (137/5)، تيسير الكريم الرّحمن (ص546).

5 . سورة الشّعراء، الآية 2. ولتفسيرها يُنظر: تفسير القرآن العظيم (135/6)، تيسير الكريم الرّحمن (ص689).

وفي هذا السّياق يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي: إنّ الهداية والتّوفيق للإيمان بيد الله ﷻ ومشيئته وتقديره، يهدي من يشاء برحمته وفضله، ويُضلُّ من يشاء بحكمته وعدله، ولو شاء ﷻ لوفّق النّاسَ جميعاً للإيمان به والاستقامة على طاعته، فلستَ -يا محمّد- بقادر على اضطرار النّاس للإيمان، وليس لك أن تُدخِله إلى قلوبهم قسراً، بل الهداية لله ﷻ وحده، وإنّما عليك البلاغ والنّذارة[1].

ثمّ أكّد الله ﷻ هذا المعنى ببيان عامّ، وزاده إيضاحاً بقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾، فأخبر ﷻ أنّ الإيمان إنّما يكون بإذنه، أي تقديرِه ومشيئته، وكذلك الكفرُ والضّلال وما يترتّب عليه من سخط الله وعذابه -وهو المعبَّر عنه هنا بلفظ (الرّجس)- يكون بتقديره ومشيئته، ويقع على الّذين لا يعقلون حجج الله ﷻ الدّالةِ على وحدانيّته، وصدقِ نبوّة محمّد ﷺ، وأنّ القرآن وحيُ الله إليه[2].

وقد اختلفت عبارات المفسّرين في بيان المراد بالرّجس هنا:

فقال بعضهم: (الرّجس) هو: الخبث والفساد، والمراد الكفر والضّلال[3].

وقال بعضهم: المراد بـ(الرّجس) في هذا الموضع: العذاب، أو العذاب والغضب[4].

وقال آخرون: المراد به: الخذلان، وإنّما عُبّر عنه بلفظ (الرّجس) لأنّ الخذلان هو سبب العذاب، والعذاب من معاني لفظ (الرّجس)[5].

وهي أقوال متقاربة محتملة لا تنافيَ بينها، إلّا أنّ أدقّها -فيما يظهر لي- القول الأوّل؛ لأنّه الأوفق للمعنى اللّغويّ الأكثرِ استعمالاً للفظ (الرّجس)، وهو الخبث والنّتن. كما أنّ لفظ (الرّجس) في الآية وقع مقابلاً للإيمان، وهذا يرجّح أنّ المراد به الكفر[6].

ويمكن التّقريبُ بين هذه الأقوال بأن يُقال: يدلُّ الرّجس في الآية على الكفر -وهو النّتن والخبث- دلالةً حقيقيّة، ويدلّ على العذاب والغضب دلالة مجازيّة من باب المجاز المرسل الّذي علاقته اللّزوم؛ إذ يلزم من

1 . ينظر: جامع البيان (297/12 - 299)، المحرّر الوجيز (145/3)، تفسير القرآن العظيم (298/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (292/11، 293).

2 . ينظر: جامع البيان (299/12، 300)، الكشّاف (176/3)، المحرّر الوجيز (145/3)، تفسير القرآن العظيم (298/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (294/11، 295).

3 . ينظر: تفسير القرآن العظيم (298/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (294/11، 295).

4 . ينظر: جامع البيان (299/12، 300)، المحرّر الوجيز (145/3)، الجامع لأحكام القرآن (57/11).

5 . ينظر: الكشّاف (176/3).

6 . ينظر: تفسير القرآن العظيم (298/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (294/11، 295).

الكفر سخطُ الله وعذابه، ويدلُّ على الخذلان دلالةً مجازيّة من باب المجاز المرسل الّذي علاقته السّببيّة؛ إذ خذلانُ الله للعبد هو سببُ كفره.

وبهذا يظهر لك دقّة الاستعمال القرآنيّ وسعته؛ فالمعاني الّتي يؤدّيها لفظ (الرّجس) في هذا الموضع ما كان ليؤدّيها لفظ (الرّجز) -لو كان هو المستعمل- مع ما بينهما من تقارب، فسبحان الله ما أحسنه من كلامٍ، وما أعظمَ دلالته على أنّه وحيُ اللّطيف الخبير، العليم القدير، سبحانه وتعالى!

- **الموضع التّاسع: في قول الله ﷻ:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1]:

جاءت هذه الآية في سياق ذكر حجّ بيت الله الحرام أوّلَ ما شرعه الله ﷻ، حيث أمر نبيّه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت والأذان في النّاس بالحجّ، ويدخل في هذا ما افترضه الله على هذه الأمّة -أمّة محمّد ﷺ- من حجّ بيته الحرام، حيث ذكر ﷻ في ضمن ذلك جملةً من أعمال الحجّ وأحكامه، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[2].

وجاء في الآيات ذكرُ تحذير اللهِ إبراهيمَ عليه السلام من الإشراك به ﷻ، ولعلّ في هذا إشارةً إلى ما ارتبط بالبيت الحرام وأعمالِ الحجّ من إظهارٍ لتوحيده ﷻ[3].

بعد ذلك جاءت الآية محلُّ البحث، قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، يقول ﷻ: ذلك الّذي أمرتكم به من أعمال الحجّ هو الواجب عليكم في حجّكم، ومن يُعظِّم البيت الحرام والمشاعر والمناسك، ويُعظّم سائر ما شرع الله وما حرّم ﷻ- فهو خيرٌ له عند الله في الآخرة. واعلموا أنّه ليس من المحرّمات ما حرّمه أهلُ الجاهليّة على أنفسهم ممّا لم يحرّمه الله، كالبحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحامي[4]؛ بل إنّ الله قد أحلّ لكم بهيمة الأنعام إذا ذكّيتموها، إلّا ما

1 . سورة الحج، الآية 28.

2 . سورة الحج، الآيات 24 - 27.

3 . ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير (241/17).

4 . البحيرة والسّائبة والوصيلة والحامي: أنواعٌ من الأنعام، كان العرب يلقّبونها بهذه الألقاب لأوصافٍ تعلّقتْ بها، كأن تنتج عشرة أبطن، أو خمسةً آخرُها ذكر، أو أن تلد أنثى بعد أنثى، وأوصافٍ نحو ذلك، جعلوها سبباً لتحريم نحرها وركوبها وجزّ وبرها وشُرْبِ لبنها إلّا

حرّم الله عليكم ممّا يفصّل لكم في كتابه، في قوله ﷻ: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[2]، ونحو ذلك من الآيات المحكمات[3].

ولمّا كان الشّركُ بالله هو السّببَ في تحريم ما أحلّ الله، وكان من جملة ما حرّم الله ما أُهلّ به لغير الله، أي ما ذُبِح للآلهة الّتي تُعبَد من دون الله، أو ذُكِر عليه اسم تلك الآلهة[4]- نهى الله عبادَه عن الشّرك به ﷻ، فقال ﷻ: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[5].

ولأنّ الشّركَ بالله أعظم الكذب؛ إذ المشرك يقول بلسان حاله: الوثن يستحقُّ أن يُعبَد، وذلك أبطل الباطل- أتبعَ اللهُ الأمرَ باجتناب عبادة الأوثان بالأمر باجتناب الكذب كلّه، فقال ﷻ: ﴿وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾، وكأنّه قال: اجتنبوا عبادة الأوثان الّتي هي أعظم الزّور، واجتنبوا قول الزّور كلّه[6].

والأشهر أنّ (مِن) في الآية بيانيّة، كأنّه جعل (الرّجس) أعمّ من الأوثان، إذ عبادة الأصنام بعض أفراد الرّجس، وهي الّتي تَوجَّهَ إليها الأمر بالاجتناب. وقيل غير ذلك[7].

والرّجس -كما مرّ-: النّتَنُ والقذر والخبث، وجعل الله ﷻ عبادةَ الأوثان رجساً لكونها أمراً مستقذراً منتناً معنىً، حقُّها أن تُجتنَب ولو لم يُنْهَ عنها، فكيف وقد نهى الله ﷻ عنها وذمَّها وحذَّر منها غاية التّحذير. ولأنّ اجتناب عبادتها أوكد من اجتناب النّجاسات[8].

لضيف، وكانوا يجعلونها لأصنامهم، ويدفعونها إلى السّدنة وقفاً على تلك الطّواغيت. وقد بيّن الله لعباده بطلان ذلك التّحريم، فضلاً عن كونه شركاً به ﷻ، قال ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية 105). وفي تعريف تلك الأنواع وما تعلّق بها من أحكامٍ جاهليّةٍ أقوالٌ متقاربة، يُنظر لتفصيلها: جامع البيان (26/9 - 39)، معاني القرآن وإعرابه (213/2)، تفسير التّحرير والتّنوير (71/7 - 74).

1 . سورة الأنعام، من الآية 146.

2 . سورة المائدة، من الآية 4.

3 . ينظر: جامع البيان (533/16 - 535)، المحرّر الوجيز (120/4)، تفسير التّحرير والتّنوير (251/17 - 253).

4 . ينظر: جامع البيان (55/3).

5 . ينظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، للبقاعيّ (42/13).

6 . ينظر: التّفسير الكبير (35/23)، تفسير البحر المحيط (339/6، 340)، نظم الدّرر (43/13).

7 . ينظر: المحرّر الوجيز (120/4)، تفسير البحر المحيط (340/6)، تفسير التّحرير والتّنوير (253/17)، تيسير الكريم الرّحمن (ص628).

8 . ينظر: التّفسير الكبير (35/23)، نظم الدّرر (42/13)، تفسير التّحرير والتّنوير (253/17).

وقيل إنّ المراد بـ(الرّجس) هنا: العذاب، قالوا: وسمّى الله عبادة الأوثان رجساً لأنّها سببٌ للعذاب[1].

ولا تنافيَ بين القولين، إلّا أنّ القول الأوّل -وهو أنّ المراد بالرّجس القَذَرُ- أقرب؛ لكونه موافقاً للاستعمال الأغلب في اللّغة، ولأنّه يتضمّن القولَ الآخر، فهو يتضمّن التّنفير والوعيد.

- **الموضع العاشر:** في قول الله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]:

وردت هذه الآية في سياق خطابٍ لأزواج النّبيّ ﷺ أمّهات المؤمنين، حيث أعلمهنّ الله بهذه الآية أنّهن خيرٌ من سائر نساء عصرهنّ فما بعد، وحثّهنّ على ملازمة التّقوى، ونهاهنّ عن مخاطبة الرّجال بكلامٍ أو هيئة -من لِينٍ وترخيمٍ- تكون مدخلاً لطمعِ أهل الفسق والفجور، أو طعنِهم في عرض النّبيّ ﷺ، بل الواجب عليهنّ -وسائرُ نساء المسلمين تبعٌ لهنّ- أن يكون كلامُهنّ مع الرّجال على المألوف المعتاد، جزلاً فصلاً.

ثمّ أمرهنّ ﷻ بالقرار في البيوت -وهو أمرُ إيجابٍ في حقّ أمّهات المؤمنين إلّا لحاجة، وأمرُ كمالٍ لسائر النّساء-، ونهاهنّ عمّا كان عليه النّساء في الجاهليّة من التّزيّن أمام الرّجال الأجانب والاختلاط بهم. وأمرهنّ ﷻ بإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة[3]، وطاعته ﷻ وطاعة رسوله ﷺ عموماً[4].

ثمّ أعلمهنّ ﷻ -وأعلَمَ سائرَ المسلمين- بالمقصد من هذه الأوامر والنّواهي، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، أي إنّه ما أمرهنّ ونهاهنّ تعنّتاً ولا إيقاعاً للحرج عليهنّ، بل المقصد من ذلك مصلحتهنّ؛ بتنزيههنّ عن النّقائص، وتحليتِهنّ بالكمالات.

والرّجس -كما مرّ- القَذَر، واستُعير هنا للذّنوب والنّقائص الّتي نهاهنّ الله عنها؛ تنفيراً عن اقترافها، واستُعير التّطهير لما يقابل ذلك من التّحلّي بالكمالات والفضائل[5].

وقد ذكر المفسّرون معانيَ للفظ (الرّجس) في الآية، فقيل: الذّنوبُ، وقيل: النّقائص والعيوب، وقيل:

1 . ينظر: الجامع لأحكام القرآن (386/14)، فتح القدير (615/3)، تفسير التّحرير والتّنوير (253/17).

2 . سورة الأحزاب، الآية 33.

3 . من اللّطائف الّتي أوردها ابن كثير في مواضع من تفسيره -ومنها هذا- أنّ الأمر بالصّلاة يتضمّن إشارةً إلى عبادة الله وحده فيما يكون بين العبد وربّه، والأمرَ بالزّكاة يتضمّن إشارة إلى الإحسان إلى الخلق. ينظر: تفسير القرآن العظيم (168/1، 410/6).

4 . ينظر: جامع البيان (94/19 - 101)، المحرّر الوجيز (382/4، 383)، تفسير القرآن العظيم (408/6 - 410)، تفسير التّحرير والتّنوير (6/22 - 13).

5 . ينظر: التّفسير الكبير (210/25)، تفسير التّحرير والتّنوير (14/22، 15).

العذاب، وقيل: الشّرك، وقيل: الشّرّ والفحشاء، وقيل غير ذلك[1].

وقال عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم: "(الرّجس) ههنا الشّيطان، وسوى ذلك من (الرّجس): الشّرُّ"[2].

وهي أقوال متقاربة لا تنافي بينها، فأشهر معاني الرّجس في اللّغة -كما مرّ-: القَذَر والخبث، ويصحّ أن يوصَف الشّرك والشّرّ والذّنوب والنّقائص- بأنّها قَذَر؛ تنفيراً عنها. ويصحّ أن توصف هذه المذكورات بأنّها عذابٌ؛ لأنّها سببٌ له. وقد يصحُّ أن يكون المرادُ بـ(الرّجس): الشّيطانَ، أي وسوسته؛ لأنّها سببٌ للشّرك والذّنوب والنّقائص والشّرور.

وهذه المعاني الكثيرةُ المتقاربةُ لا يدلُّ عليها لفظ (الرّجز) -لو كان هو المستعمل-، فيظهر لك بذلك دقّة الاستعمال القرآنيّ؛ إذ حتّى لو كان العذابُ -وهو مدلول لفظ (الرّجز) على أشهر استعمالاته- مراداً هنا فإنّ لفظ (الرّجس) يدلُّ عليه، إضافةً للمعاني الأخرى.

وبهذا يظهر لك -كما ظهر في المواضع السّابقة- الدّقّةُ البالغة للاستعمال القرآنيّ، فسبحان من ضمّن الدّعوة إلى عبادته الدّلالةَ على صدق رسوله ﷺ، ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]!

خلاصة المطلب الثّالث:

1. ورد لفظ (الرّجس) في القرآن الكريم في عشرة مواضع.
2. تنوعّت عبارات المفسّرين في بيان المراد بـ(الرّجس) في أكثر هذه المواضع، وربما يرجع ذلك إلى سعة المعاني اللّغويّة للّفظ، والتّردّدِ في بعض المواضع بين حمل اللّفظ على الحقيقة وحمله على المجاز.
3. أكثر المعاني حضوراً في استعمال لفظ (الرّجس) هو القَذَرُ والنّجاسة، نجاسة حقيقيّة في بعض المواضع، ومجازيّة في بعضها الآخر. وقد يحتمل الموضعُ الواحد الحقيقةَ والمجازَ.
4. رغم تفسير لفظ (الرّجس) في بعض مواضعه بالعذاب -الّذي هو أشهر معاني لفظ (الرّجز)- إلّا أنّه يظهر في هذه المواضع -وفي غيرها- الدّقّةُ المتناهية للاستعمال القرآنيّ؛ إذ لا يمكن في أيٍّ من هذه المواضع أن يؤدّيَ لفظُ (الرّجز) -لو كان هو المستعملَ- المعنى المراد على النّحو الّذي يؤدّيه لفظ (الرّجس).

1 . ينظر: الهداية إلى بلوغ النّهاية (5833/9)، المحرّر الوجيز (384/4)، التّفسير الكبير (210/25)، تفسير البحر المحيط (224/7)، تفسير التّحرير والتّنوير (14/22).

2 . جامع البيان (101/19).

3 . سورة هود، من الآية 1.

الخاتمة

في ختام هذه الدّراسة المختصرة يمكن تسجيل جملةٍ من النّتائج والتّوصيات.

أوّلاً: النّتائج:

1. ورد كلٌّ من لفظَي (الرّجز) و(الرّجس) عشر مرّات في القرآن، وقد يكون هذا مثاراً للتّدبّر والاستنباط.
2. بين اللّفظين تقاربٌ كبيرٌ في المعنى، كما المبنى، حتّى قيل إنّهما بمعنىً واحد، بل قيل إنّهما لفظٌ واحدٌ.
3. رغم التّقارب الكبير في المعنى بين اللّفظين إلّا أنّ كلّاً منهما استقلّ عن الآخر باستعمالاتٍ، استقلالاً أغلبيّاً -كاستعمال (الرّجز) في الدّلالة على العذاب، واستعمالِ (الرّجس) في الدّلالة على القَذَر- أو كلّيّاً، كاستعمال (الرّجز) في الدّلالة على بحرٍ من بحورِ الشّعر، واستعمالِ (الرّجس) في الدّلالة على الحجر الّذي يُستعمَل لمَخْضِ حمْأة البئر.
4. أشهر المعاني الّتي استُعمل لفظ (الرّجز) في الدّلالة عليها: العذاب، وأشهر المعاني الّتي استُعمل لفظ (الرّجس) في الدّلالة عليها: القّذَر والنّتَن والنّجاسة.
5. اختلاف عبارات المفسّرين في تفسير لفظ (الرّجس) في القرآن الكريم أكثرُ منه في تفسير لفظ (الرّجز)، وإن كان يُمكن الجمع والتّقريب بين الأقوال المختلفة في تفسير كلٍّ من اللّفظين.
6. يظهر من خلال تفسير الآيات الّتي ورد فيها كلٌّ من اللّفظين -وهو في لفظ (الرّجس) أظهر- دقّةُ الاستعمال القرآنيّ، الّذي هو مظهر من مظاهر (الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم).

ثانياً: التّوصيات:

1. القرآن الكريم كلامُ الله، وهو أعظمُ آية على نبوّة محمّد ﷺ، فالوصيّة لطلبة العلم والباحثين وعمومِ المسلمين- بالمزيد من الإقبال على القرآن الكريم، واستفراغِ الوسع في تدبُّره وتفسيره.
2. ممّا يوصَى به خصوصاً: الاهتمامُ بقضيّة الإعجاز البلاغيّ؛ إذ هي مدار التّحدّي، ومن خلالها تُدفَع كثيرٌ من الشّبهات الّتي يحاول أهل الباطل اختلاقَها وترويجها حول القرآن ورسالة الإسلام.
3. يُظهر البحث أهمّيّة (فقه اللّغة) بالنّسبة للمفسّر، فيوصَى المتخصّصون في التّفسير وعلوم القرآن بالاهتمام بهذا المجال المهمّ، والعمل على تنمية معارفهم فيه، من خلال الدّراسة والبحث العلميّ.
4. يوصَى في هذا المقام بالاهتمام بالتّفسير اللّغويّ عند السّلف؛ إذ هم أعلمُ النّاس بمعاني القرآن الكريم، وهم أهل اللّسان العربيّ، لا سيما أعلامُهم الّذين تصدّوا للتّفسير واشتهروا به؛ فمِنَ المهمّ جمعُ ما ورد عنهم من تفسير لغويّ للقرآن الكريم، ودراسته، والاستفادة منه تأصيلاً وتطبيقاً.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وآله.

ثبت المصادروالمراجع

- **أوّلاً: القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع، والعدّ المدنيّ الأوّل.**
- **ثانياً: المصادروالمراجع الأخرى:**

1. الإبهاج في شرح المنهاج، عليّ بن عبد الكافي السّبكي، و: عبد الوهّاب بن عليّ السّبكي، تحقيق: شعبان محمّد إسماعيل، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، ط:1، 1401هـ/ 1981م.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمّد الأمين الشّنقيطي، حُقّق بإشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد - مكّة، ط:1، 1426هـ.
3. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدّين الدّرويش، دار الإرشاد – حمص، ط:3، 1412هـ/ 1992م.
4. أفراد كلمات القرآن العزيز، أحمد بن فارس، تحقيق: حاتم الضّامن، دار البشائر - دمشق، ط:1، 1423هـ/ 2002م.
5. الأنساب، عبد الكريم بن محمّد السّمعانيّ، طُبع بإشراف: شرف الدّين أحمد، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة - الهند، ط:1، 1397هـ/ 1977م.
6. البرهان في علوم القرآن، محمّد بن عبد الله الزّركشيّ، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة - بيروت، ط:1، 1410هـ/ 1990م.
7. تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، مكتبة دار التّراث - القاهرة، ط:2، 1393هـ/ 1973م.
8. التّسهيل لعلوم التّنزيل، محمّد بن أحمد بن جزيّ الكلبيّ، تحقيق: عليّ بن حمد الصّالحي، دار طيبة الخضراء - مكّة، ط:1، 1439هـ/ 2018م.
9. التّصاريف، يحيى بن سلّام، تقديم وتحقيق: هند شلبي، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع - تونس، 1400هـ/ 1980م.
10. تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط:1، 1413هـ/ 1993م.
11. تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر ابن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر (1/ 124، 125).
12. تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، دار الكتب العلميّة - بيروت، 1398هـ/ 1978م.
13. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي السّلامة، دار طيبة - الرّياض، ط:2، 1420هـ/ 1999م

14. التّفسير الكبير، محمّد بن عمر الرّازي، دار الفكر - بيروت، ط:1، 1401هـ/ 1981م.
15. التّفسير الموضوعيّ بين النّظريّة والتّطبيق، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار النّفائس - الأردن، ط:3، 1433هـ/ 2012م.
16. تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرّحمن السّعديّ، تحقيق: عبد الرّحمن اللّويحق، دار السّلام - الرّياض، ط:2، 1422هـ/ 2002م.
17. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطّبريّ، تحقيق: عبد الله التّركي، دار هجر - القاهرة، ط:1، 1422هـ/ 2001م.
18. الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التّركي، مؤسّسة الرّسالة - بيروت، ط:1، 1427هـ/ 2006م.
19. الخصائص، عثمان بن جنّي، تحقيق: محمّد النّجّار، دار الكتب المصريّة، 1376هـ/ 1957م.
20. الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور، جلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: عبد الله التّركي، مركز هجر - القاهرة، ط:1، 1424هـ/ 2003م.
21. دلائل النّبوّة، أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة - بيروت، دار الرّيّان للتّراث - القاهرة، ط:1، 1408هـ/ 1988م،
22. ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، أبو حيّان الأندلسيّ، تحقيق: رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي - القاهرة (1/ 325).
23. زاد المسير في علم التّفسير، عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزيّ، المكتب الإسلامي - بيروت/ دار ابن حزم - بيروت، ط:1، 1423هـ/ 2002م.
24. الاشتقاق، عبد الله أمين، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط:2، 1420هـ/ 2000م.
25. شرح مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيمية، لمساعد بن سليمان الطّيّار دار ابن الجوزيّ، ط:2، 1428هـ.
26. الصّاحبي، أحمد بن فارس، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة.
27. الصّحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عطّار، دار العلم للملايين - بيروت، ط:4، 1990م
28. فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، محمّد بن عليّ الشّوكاني، تحقيق: عبد الرّحمن عميرة، دار الوفاء.
29. الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكريّ، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة – القاهرة، 1418هـ/ 1997م.

30. الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمّد الشّايع، مكتبة العبيكان – الرّياض، ط:1، 1414هـ/ 1993م.
31. فصول في أصول التّفسير، مساعد الطّيّار، دار ابن الجوزيّ - السّعوديّة، ط:3، 1420هـ/ 1999م.
32. في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة - القاهرة، ط:8، 1992م.
33. القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، حُقّق بإشراف: محمّد العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة - بيروت، ط:8، 1426هـ/ 2005م.
34. كتاب الإبدال، أبو الطّيّب عبد الواحد بن عليّ اللّغويّ، تحقيق: عزّ الدّين التّنوخي، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1379هـ/ 1960م.
35. كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائي، دار ومكتبة الهلال.
36. الكشّاف، محمود بن عمر الزّمخشريّ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، مكتبة العبيكان - الرّياض، ط:1، 1418هـ/ 1998م.
37. الكلّيّات، أيّوب بن موسى الكفويّ، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة - بيروت، ط:2، 1419هـ/ 1998م.
38. كلّيّات الألفاظ في التّفسير دراسة نظريّة تطبيقيّة، بريك بن سعيد القرني، الجمعيّة العلميّة السّعوديّة للقرآن الكريم وعلومه.
39. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور الأنصاري)، المطبعة الأميريّة ببولاق - مصر، ط:1، 1301هـ
40. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.
41. المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جنّي، تحقيق: علي ناصف وعبد الحليم النّجّار وعبد الفتّاح شلبي، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة - القاهرة، 1415هـ/ 1994م
42. المحرّر الوجيز، عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسيّ، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط:1، 1422هـ/ 2001م.
43. المحصول في علم أصول الفقه، محمّد بن عمر الرّازي، تحقيق: طه جابر العلواني، مؤسّسة الرّسالة – بيروت، ط:2، 1412هـ/ 1992م.
44. المدخل إلى التّفسير الموضوعيّ، إبراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزيّ - السّعوديّة، ط:3، 1442هـ/ 2020م.
45. معالم التّنزيل، الحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق: محمّد النّمر وعثمان ضميريّة وسليمان الحرش،

دار طيبة - الرّياض، 1409هـ.
46. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفرّاء، عالم الكتب - بيروت، ط:3، 1403هـ/ 1983م
47. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السّرِي (الزّجاج)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط:1، 1408هـ/1988م
48. معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م
49. مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم - دمشق/ الدّار الشّاميّة - بيروت، ط:4، 1430هـ/ 2009م
50. نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرّحمن بن الجوزي، تحقيق: محمّد الرّاضي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط:3، 1407هـ/ 1987م.
51. النّشر في القراءات العشر، محمّد بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف (ابن الجزريّ)، مراجعة: عليّ محمّد الضّبّاع، دار الكتب العلميّة - بيروت.
52. نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، إبراهيم بن عمر البقاعيّ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
53. النّهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمّد الجزريّ (ابن الأثير)، تحقيق: علي حسن الحلبيّ، دار ابن الجوزيّ - السّعوديّة، ط:1، 1421هـ.
54. الهداية إلى بلوغ النّهاية، مكّي بن أبي طالب القيسيّ، حُقّق بإشراف: الشّاهد البوشيخي، طُبع بإشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشّارقة، ط:1، 1429هـ/ 2008م.
55. الوجوه والنّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، الحسين بن محمّد الدامغانيّ، تحقيق: عربي عبد الحميد، دار الكتب العلميّة - بيروت.
56. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، عليّ بن أحمد الواحديّ، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط:1، 1415هـ/ 1994م.

- **ثالثاً: البحوث المحكّمة:**

1. تلمُّس أثر المماثلة في نموّ المعجم العربيّ: دراسة صوتيّة معجميّة، الباحث: مهدي أسعد عرار، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، العدد:101، نوفمبر 2003م.
2. المترادف في اللّغة، الباحث: محمّد الطّاهر بن عاشور، مجلّة مجمع فؤاد الأوّل للّغة العربيّة (مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة)، العدد:4، شعبان 1356/ أكتوبر 1937م.